

الغراب بلاكي

ثورنتون دبليو برجس



الْغُرَابُ بِلَاكِي

تأليف

ثورنتون دبليو برجس

ترجمة

أحمد شكل

مراجعة

لبني عماد تركي



الْغُرَابُ بِلَاكِي

Blacky the Crow

Thornton W. Burgess

ثورنتون دبليو برجس

الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبيت ستيت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تلفون: + ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٤٤)

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

رسم الغلاف: حنان بغدادي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١٣٩٦٥

صدر الكتاب الأصلي باللغة الإنجليزية عام ١٩٢٢.

صدرت هذه الترجمة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٨.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب، وتصنيم الغلاف، والترجمة العربية لنص

هذا الكتاب مُرَحَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: تَسْبُبُ المُصَنَّفِ، الإصدار ٤٠.

جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

٧	إِهْدَاءُ
٩	١- الْغُرَابُ بِلَاكِي يُحَقِّقُ اِنْتِشَافًا
١١	٢- بِلَاكِي يَتَأَكَّدُ
١٥	٣- بِلَاكِي يَعْرِفُ صَاحِبَ الْبَيْضَتَيْنِ
١٧	٤- دَهَاءُ بِلَاكِي
١٩	٥- بِلَاكِي يَسْتَدِعِي أَصْدِقَاءً
٢١	٦- السَّيِّدُ هوَتِي لَمْ يَبْقَ فِي مَكَانِهِ
٢٣	٧- بِلَاكِي يُجْرِبُ خُطَّةً جَدِيدَةً
٢٥	٨- هوَتِي يَهُبُ لِلْجَدِيدِ السَّيِّدَةِ هوَتِي
٢٧	٩- بِلَاكِي يُفَكِّرُ فِي ابْنِ الْمُزَارِعِ بِراونِ
٢٩	١٠- ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراونِ وَهُوَتِي
٣١	١١- ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراونِ يَتَعَرَّضُ لِلْإِغْرَاءِ
٣٥	١٢- مَعْرَكَةٌ أَعْلَى شَجَرَةٍ
٣٩	١٣- بِلَاكِي يُغَيِّرُ رَأْيَهُ
٤١	١٤- بِلَاكِي يَقُولُ بِزِيَارَةٍ
٤٥	١٥- بِلَاكِي يَتَفَقَّدُ الْأَوْضَاعَ
٤٩	١٦- بِلَاكِي يَجِدُ أَدِلَّةً أُخْرَى
٥٣	١٧- أَمْرُ عَحِيبٍ

الْغُرَابُ بلاكي

- ٥٥ - ١٨- ظُنُونُ بلاكي
- ٥٧ - ١٩- بلاكي يصل إلى مزيد من الاكتشافات
- ٥٩ - ٢٠- بلاكي يُحدّر الآخرين
- ٦٣ - ٢١- بلاكي يتأكّدُ أخيراً
- ٦٧ - ٢٢- بلاكي يعود إلى المنزل سعيداً
- ٧١ - ٢٣- بلاكي يستدعى ابن المزارع براون
- ٧٣ - ٢٤- ابن المزارع براون يُفكّر
- ٧٥ - ٢٥- صدمة شديدة
- ٧٩ - ٢٦- لماذا لم يصطاد الصياد أي بطّاط؟
- ٨١ - ٢٧- الصياد يستسلم
- ٨٥ - ٢٨- بلاكي يتحاور مع داسكي
- ٨٩ - ٢٩- بلاكي يجد بيضة
- ٩٣ - ٣٠- بلاكي يستجمع شجاعته
- ٩٧ - ٣١- بيضة سيئة السلوك
- ١٠١ - ٣٢- ماذَا فَعَلَ بلاكي بالبيضة المسروفة؟

إِهْدَاءُ

إِلَى الْمُوَاطِنِ الْأَمْرِيْكِيِّ الَّذِي حَفِظَ عَلَى بَقَائِهِ فِي أَرْضِنَا أَجْدَادِهِ — عَلَى الرَّغْمِ
مِنْ تَبَدُّلِ الظُّرُوفِ وَتَعْرُضِهِ لِلاضطِهَادِ — بِقُدرَتِهِ عَلَى التَّكْيِفِ وَذَكَائِهِ ... إِلَى
الْأُفْرَابِ.

الفصل الأول

الغراب بلاكي يحقق اكتشافاً

دائماً ما يرى الغراب بلاكي أشياء لا يتبينها أن يراها، ونتيجة لذلك يقع في مشكلات لا تنتهي كأن يمكّنه تجنبها. وهو في هذا يُشبّه ابن عم طائر السنديان سامي؛ فكلّا هما يرى أشياء كثيرة لا تتعينه، والأفضل له إلا يراها.

وَجَدَ الْغُرَابُ بِلَاكِي الْحَيَاةَ صَعْبَةً؛ إِذْ غَطَّى الْجَلِيدُ الْمُرْوَجَ الْخَضْرَاءَ وَالْغَابَةَ الْخَضْرَاءَ، وَكَسَّتِ التَّلُوْجُ النَّهْرَ الْكِبِيرَ وَالْبِرْكَةَ الْبَاسِمةَ. فَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُعْمِلَ نَظَرَهُ الْحَادَّ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ لِيَجِدَ مَا يَسُدُّ جُوعَهُ، وَكَانَ مُسْتَعِداً لِأَكُلِّ أَيِّ شَيْءٍ يَجِدُهُ فِي طَرِيقِهِ. وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَقْطِعُ مَسَافَاتٍ طَوِيلَةً بَحْثًا عَنِ الطَّعَامِ، وَلِكَنَّهُ دَائِمًا مَا يَعُودُ لَيْلًا إِلَى نَفْسِ الْمَكَانِ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ لِيَبْيَسْ لَيْلَتَهُ بِصُحْبَةِ أَفْرَادِ عَائِلَتِهِ الْآخَرِينَ.

فَبِلَاكِي يَعْشُقُ الصُّحْبَةَ، وَخَاصَّةً فِي اللَّيْلِ. وَعِنْدَمَا يَبْدأُ قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرِ الْمُسْتَدِيرُ الْمَرْحُ في التَّفَكِيرِ فِي سَرِيرِهِ خَلْفَ التَّلَالِ الْأَرْجُوانِيَّةِ، فَسَتَجِدُ بِلَاكِي يَتَّجِهُ نَحْوَ بُقْعَةٍ يَعْيَنُهَا مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ؛ حَيْثُ يَعْرُفُ أَنَّهُ سَيَجِدُ حِيرَانًا مِنْ حِنْسِهِ. وَيَقُولُ الْأَرْنَبُ بِيَتَرِ إِنْ بِلَاكِي لَا يَجْرُؤُ عَلَى النَّوْمِ بِمُفْرِدِهِ؛ لِأَنَّ ضَمِيرَهُ يُورِقُهُ، وَلِكَنَّ السُّنْجَابَ جَاكَ السَّعِيدَ يَقُولُ إِنْ بِلَاكِي عَدِيمُ الضَّمِيرِ. يُمْكِنُكَ أَنْ تُصَدِّقَ مَا تَشَاءُ، وَإِنْ كُنْتُ أَشْكُ فِي أَنَّ أَيَّاً مِنْهُمَا يَعْرُفُ الْحَقِيقَةَ.

كَمَا قُلْتُ سَابِقًا، بلاكي كثير الترحال في هذا الوقت من العام، وأحياناً يأخذ بحثه عن الطعام إلى أماكن نائية. في أحد أيام أواخر الشتاء، طرأنا على ذهنه فكره أن يلقي نظرة على رُكْنٍ معين مهجور من الغابة الخضراء حيث كان الصقر أحمر الذيل يعيش في

يومٍ من الأيام. كان بلاكي يعلم أن أحمر الذيل لم يعد يعيش هناك؛ فقد ذهب إلى الجنوب في الخريف ولكن يعود حتى يتأكّد من وصول السيد ربيع إلى المروج الخضراء والغابة الخضراء.

وكان يعادي ذلك الودع الأسود، حلق بلاكي فوق قمم الأشجار، ولمحت عيناه الثاقبتان شيئاً مثيراً في الأسفل؛ فقد رأى أمامة العرش القديم للصقر أحمر الذيل. كان يعرف كلّ شيء عن هذا العرش؛ فقد زاره من قبل في غياب أحمر الذيل. مع ذلك، ظنَّ أنَّ الأمر ربما كان يستحق زيارة أخرى؛ فلا يمكن أن تعرف أبداً ما يمكن أن تجد في المنازل القديمة. وبالطبع كان بلاكي يعلم بقيناً أنَّ أحمر الذيل يبعد عنه أميلاً - بل مئات الأميال - ولذا ليس ثمة ما يخشأ منه. ولكن بلاكي كان قد تعلم منذ زمنٍ أنَّ أفضل شيء هو التأكّد من عدم وجود خطير؛ لذا، عوضاً عن أن يتوجه إلى العرش القديم مباشرةً، حلق فوق الشجرة لكي يستطيع أن يرى ما فيها من على.

فوراً رأى بلاكي شيئاً جعله يشيق ويطرُف بعينيه. كان الشيء كبيراً إلى حدٍ ما وأبيض اللون، وكان يُشبه ... كان يُشبه البيضة كثيراً! هل تتذَجَّب من شهيق بلاكي وطريقه بعينيه؟ كان الثلج يغطي الأرض، ولم يكن ثمة ما يشير إلى نية الرياح الشمالية الباردة والصريح العودة إلى الشمال البعيد. طائر بيض بيضاء في هذا الوقت من العام!

طار بلاكي إلى شجرة صنوبر عالية للتفكير في الأمر.

فكَرَ قائلاً: «لا بدَّ أنها كانت مجردة كتلة صغيرة من الثلج. لكنها بدأ بيضة ولا شكّ. أوه! كم سيطيب لي تذوق بيضة الآن!» وكما تعلمون، بلاكي ضعيف أمام البيض. وكلّما فكر فيه أكثر، ازداد جوعه. فكر أكثر من مرة في التوجّه إلى هناك مباشرةً والتتأكّد مما رأه، ولكنه لم يجرؤ. فإذا ما كانت بيضة، فلا بدَّ أنها تخص أحدهم، وربما كان الأفضل أن يعرِف من صاحبها. وفجأة، انتفض بلاكي قائلاً: «لا ريب أنني أحمل، لا يمكن أن توجَد بيضة في هذا الوقت من العام، أو في هذا العرش المهترئ القديم! سوف أطير من هنا وأنسى أمرها.»

طار بلاكي ولكنه لم يستطع أن يُسْطِع طوال اليوم، وعندما ذهب إلى النوم في تلك الليلة قرر أن يلقي نظرة أخرى على ذلك العرش القديم.

الفصل الثاني

بلاكي يَتَأَكُدُ

صَارَ أَكِيدًا بِلَا شَكٌ
بِيَضَّةٍ طَازَجَةٍ هِيَ مَا رَأَيْتُ.

سَأَلَ طَائِرُ السَّنْدِيَانِ سامي، الَّذِي أَتَى فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ لِيَسْمَعَ الْجُزْءَ الْآخِيرَ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي كَانَ الْفُرَابُ بِلَاكِي يُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَهُ: «عَمَ تَحَدَّثُ؟» فَرَدَّ بِلَاكِي قَائِلًا: «لَا شَيْءَ، يَا ابْنَ الْعَمِّ، لَا شَيْءَ عَلَى الإِطْلَاقِ. كُنْتُ أَحَدُ ثُنْفِي حَدِيثًا أَحْمَقَ».»

نَظَرَ إِلَيْهِ سامي بِحِدَّةٍ وَسَاءَلَ قَائِلًا: «لَسْتَ مَرِيضًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ يَا ابْنَ الْعَمِّ بِلَاكِي؟ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِكَ خَطْبٌ مَا عِنْدَمَا تَبَدَّأُ فِي الْحَدِيثِ عَنْ بِيَضِّ مَوْضُوعٍ حَدِيثًا، بَيْنَمَا كُلُّ شَيْءٍ مُغَطَّى بِالثَّلْجِ وَالْجَليْدِ. الْحَمَاقَةُ لَيْسَتِ الْوَصْفَ الْمُنَاسِبَ لِذَلِكَ. مَنْ سَمِعَ مِنْ قَبْلُ بِيَضَّةٍ مَوْضُوعَةٍ حَدِيثًا فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ؟!» أَجَابَ بِلَاكِي: «أَعْتَقُدُ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَسْمَعْ بِذَلِكَ. أَخْبَرْتُكَ أَنَّهَا حَمَاقَةً. فَإِنَّا جَائِعُ لِدَرَاجَةٍ أَنْ أُفَكِّرُ فِيمَا يُمْكِنُنِي تَنَاؤلُهُ إِذَا كُنْتُ أَسْتَطِيعُ الْحُصُولَ عَلَى مَا أُرِيدُ. وَذَلِكَ جَعَلَنِي أُفَكِّرُ فِي الْبِيْضِ، وَحَاوَلْتُ أَنْ أُفَكِّرَ فِي شُعُورِي إِذَا رَأَيْتُ بِيَضَّةً كِبِيرَةً لَدِيْدَةً أَمَامِيَّ فَجَاءَهُ أَطْنَبِنِي قُلْتُ شَيْئًا بِهَذَا الشَّأنِ.»

فَقَالَ سامي: «لَا بُدَّ أَنَّ هَذَا مَا حَدَثَ. فَهَذَا لَيْسَ وَقْتَ وَضْعِ الْبِيْضِ، وَلَنْ يُوضَعَ الْبِيْضُ عَمَّا قَرِيبٌ. اسْتَمِعْ لِنَصِيحَتِي وَانْسَ هَذِهِ الْأُمُورَ الْمُسْتَحِيلَةَ. سَوْفَ أَذْهَبُ إِلَيْ

صَوْمَعَةُ الْذَّرَةِ فِي مَزْرَعَةِ الْمُزَارِعِ بِراون. رُبَّمَا لَا تَكُونُ الذَّرَةُ لَذِيذَةٌ مِثْلَ الْبَيْضِ، وَلَكِنَّهَا جَيِّدَةٌ جِدًا وَمُشْبِعَةٌ. حَرِيُّ بِكِ أَنْ تَأْتِيَ مَعِي.»

فَرَدَّ بلاكي: «لَيْسَ الْيَوْمَ، رُبَّمَا فِي وَقْتٍ لَاحِقٍ. شُكْرًا لَكَ.»

وَقَفَ بلاكي يُرَاقِبُ سامي وَهُوَ يَتَوَارَى بَيْنَ الْأَشْجَارِ، ثُمَّ حَلَقَ إِلَى قَمَةِ أَطْوَلِ شَجَرَةٍ صَنَوْبِرٍ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ أَحَدٍ فِي الْجِوارِ. وَعِنْدَمَا تَأَكَّدَ تَمَامًا مِنْ أَنَّهُ لَا أَحَدَ يَرَاهُ، بَسَطَ جَنَاحَيْهِ وَتَوَجَّهَ إِلَى الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ.

تَمَّتَ قَائِلاً: «إِنِّي أَحْمَقُ. أَعْلَمُ أَنِّي أَحْمَقُ، وَلَكِنْ عَلَيَّ أَنْ أَقْرِي نَظَرَةً أُخْرَى عَلَى ذَاكَ الْعُشِ الْقَدِيمِ لِلصَّقْرِ أَحْمَرِ الدِّيلِ. لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَخَلَّصَ مِنْ فِكْرَةِ أَنَّ مَا رَأَيْتُهُ هُنُوكَ أَمْسِ كَانَ بَيْضَةً، بَيْضَةً رَائِعَةً كِبِيرَةً بَيْضَاءَ. وَعَلَى أَيْتَهِ حَالٍ، لَا ضَرَرَ فِي إِلْقاءِ نَظَرَةٍ أُخْرَى.»

طَارَ بلاكي مُبَاشِرًا نَحْوَ الشَّجَرَةِ الَّتِي تَحْمِلُ الْعُشَ الْمُنْهَالِكَ الْكَبِيرَ لِلصَّقْرِ أَحْمَرِ الدِّيلِ، وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ مِنْهَا حَلَقَ عَالِيًّا؛ فَبِلَاكِي عَنْدَهُ مِنَ الدَّكَاءِ وَالْفِطْنَةِ مَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْمُخَاطَرَةِ. إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَطْلُنُ الْمَكَانَ حَاطِرًا؛ وَلَكِنْ لَا يُمْكِنُكُنْ أَنْ تَعْرِفَ مَا هُوَ خَفِيُّ، وَمِنَ الْحِكْمَةِ دَائِمًا أَنْ تَلْزِمَ الْحَدَرَ. وَإِذْ مَرَّ مِنْ فَوْقِ قَمَةِ الشَّجَرَةِ، نَظَرَ إِلَى أَسْفَلِ بِلَهَفَةٍ. تَحِيلُ شُعُورُهُ عِنْدَمَا رَأَى «شَيْئَيْنِ» أَبْيَضَيْنِ فِي الْعُشِ الْقَدِيمِ؛ شَيْئَيْنِ أَبْيَضَيْنِ يَبِدُوا نَبِيَّضَتَيْنِ بِلَا شَكٍ! فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ كَانَ ثَمَةَ شَيْءٍ وَاحِدٌ؛ وَصَارَ يُوجَدُ «شَيْئَانِ». فَتَرَسَّخَتِ الْفِكْرَةُ فِي عَقْلِ بلاكي؛ إِنَّهُمَا بَيْضَتَانِ! لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَا شَيْئَانِ آخَرَ.

وَاصْلَ بلاكي الطَّيْرَانَ. فَلِسَبَبِ مَا، لَمْ يَجْرُؤُ عَلَى التَّوْقِفِ حِينَهَا. كَانَ مُنْفَعِلًا لِلْغاِيَةِ بِمَا اكْتَشَفَهُ حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّفْكِيرَ جَيِّدًا. كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَغْرِقَ وَقْتًا لِيَجْمَعَ شَتَاتَ نَفْسِهِ. فَأَيَّاً كَانَتْ مَنْ وَضَعَتْ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ فَإِنَّهَا كِبِيرَةٌ وَقَوِيَّةٌ. كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ ذَلِكَ. لَا بُدَّ أَنَّهُ طَائِرٌ أَكْبِرُ مِنْهُ كَثِيرًا، وَلَمْ يَكُنْ يَرْغُبُ فِي الْوُقُوعِ فِي الْمَتَاعِبِ، حَتَّى وَلَوْ فِي سَبِيلِ عَشاِرِ مِنَ الْبَيْضِ الطَّارِجِ. يَحْبُّ عَلَيْهِ أَوْلًا أَنْ يَكْتَشِفَ مَنْ صَاحِبُ الْبَيْضَتَيْنِ، وَحِينَهَا سَيَعْرُفُ مَا عَلَيْهِ فَعْلُهُ. كَانَ مُتَأَكِّدًا أَنَّهُ لَا أَحَدَ يَعْرُفُ بِوُجُودِ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُمَا لَنْ تَهْرُبَا إِلَى أَيِّ مَكَانٍ؛ لِذَا وَاصْلَ الطَّيْرَانَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى شَجَرَةِ صَنَوْبِرٍ عَالِيَّةٍ يُمْكِنُهُ أَنْ يَجِلسَ عَلَيْهَا وَيَقْكِرُ دُونَ أَنْ يُزْعِجَهُ أَحَدٌ.

تَمْتَمَ قَائِلًا: «بَيْضَانٌ! بَيْضَانٌ حَقِيقَيَّانٌ! مَنْ ذَا الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ انتَهَى إِلَى
مَنْزِلِ أَحْمَرِ الذِيلِ الْقَدِيمِ؟ وَمَا مَعْنَى وَضْعِ بَيْضَانٍ قَبْلَ وُجُودِ أَيِّ بَادِرَةٍ عَلَى قُوَّةِ السَّيِّدِ
رَبِيعٌ؟ هَذَا يَفْوُقُ الْإِحْتِمَالَ. إِنَّهُ بِالْتَّاكِيدِ يَفْوُقُ الْإِحْتِمَالَ.»

الفصل الثالث

بلاكي يُعرف صاحب البيضتينِ

بيضتان كثيرتان في عُشٍ مُتهالك، والثلج والجليد يغطيان كلَّ شيء! هل سمع أحدٌ منْ قبلٍ بِمِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ؟

تَمَتَّمَ الْغُرَابُ بلاكي قائلاً: «لَمْ أَكُنْ لِأَصْدِقَ ذَلِكَ لَوْلَا أَنَّنِي رَأَيْتُهُ بِعِينَيَّ. عَلَى أَنْ أَصْدِقَهُمَا؛ فَإِنَّا لَمْ أَصْدِقَ عَيْنَيَّ، فَلَا جَدْوَى مِنْ أَنْ أَصْدِقَ أَيِّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ. إِنَّنِي مُتَأْكِّدٌ مِنْ وُجُودِ بَيْضَتَيْنِ فِي هَذَا الْعُشِ الْقَدِيمِ مُتَمَّلِّماً أَنَا مُتَأْكِّدٌ مِنْ أَنَّنِي أَجْلَسُ هُنَّا. فَأَيَّاً كَانَتْ مِنْ بَاضَتَهُمَا، فَإِنَّهَا لَمْ جُنُونَةٌ إِذْ تَضَعُ بَيْضًا فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ. يَحْبُّ أَنْ أَكْتَشِفَ مِنْ صَاحِبَةِ الْبَيْضَتَيْنِ ثُمَّ ...»

لَمْ يُنْهِ بلاكي حَدِيثَهُ، وَلَكِنْ لَاحَتْ نَظَرَةٌ جُوعٌ فِي عَيْنَيْهِ كَانَتْ تُخْبِرُ مِنْ يَرَاهَا — هَذَا إِنْ كَانَ شَمَةٌ مِنْ يَرَاهَا — أَنَّ بلاكي يَعْرِفُ فَائِدَةَ لِهاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ. وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ شَمَةً أَحَدٌ فِي الْجِوَارِ لِيَرَى هَذِهِ النَّظَرَةَ، وَقَدْ حَرَصَ أَشَدَّ الْحِرْصِ عَلَى أَلَا يَرَاهُ أَحَدٌ عِنْدَمَا اتَّجهَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى ذَلِكَ الرُّكْنِ الْمُهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ.

فَكَرَّ بلاكي قائلاً: «سَوْفَ أَتَأْكُدُ أَوْلَى مِنْ وُجُودِ الْبَيْضَتَيْنِ فِي مَكَانِهِمَا.» ثُمَّ حَلَّقَ عَالِيَاً فَوَقَ قِمَمِ الْأَشْجَارِ؛ لِكَيْ يَنْظُرَ لِأَسْفَلَ نَحْوِ الشَّجَرَةِ الَّتِي تَحْمِلُ عُشَ أحمر الذيل الْقَدِيمِ عِنْدَمَا يَمُرُّ فَوْقَهَا. لَوْ كَانَ أَحَدُ رَاهُ، مَا كَانَ ظَنَّ قَطُّ أَنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ بِعِينَيْهِ؛ فَقَدْ بَدَا كَمَا لَوْ كَانَ يُحَلِّقُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَكَانٍ بَعِيْيٍّ. وَإِنَّا مَا كَانَتِ الْبَيْضَتَانِ فِي مَكَانِهِمَا، كَانَ يَنْوِي الْعُودَةَ وَالْأَخْتِبَاءَ عَلَى قِمَمِ شَجَرَةِ صَنوَبِرِ قَرِيبَةٍ لِكَيْ يُرَاقِبَهُمَا حَتَّى يَتَأْكَدَ مِنْ إِمْكَانِيَّةِ سِرْقَتِهِمَا بِأَمَانٍ، أَوْ حَتَّى يَعْرِفَ لِمَنْ هُمَا.

حَقْ قَلْبُ بِلَاكِي بِسُرْعَةٍ مِنْ فَرْطِ الْإِثَارَةِ إِذْ افْتَرَبَ مِنْ ذَلِكَ الْعُشَّ الْقَدِيمِ. أَسْتَكُونُ كَاتَانِ الْبَيْضَاتِ الْكَبِيرَاتِ هُنَاكَ؟ رُبَّمَا يَجِدُ ثَلَاثَ بَيْضَاتٍ! وَهَذِهِ الْفِكْرَةُ جَعَلَهُ يُرْفِرْفُ بِجَنَاحِيهِ أَسْرَعَ قَلِيلًا. لَمْ يَتَبَقَّ إِلَّا بِضُعْ خَفَقَاتٍ بِجَنَاحِيهِ حَتَّى يَصِيرَ فَوْقَ الشَّجَرَةِ. كَمْ كَانَ يَتَمَّنِي رُؤْيَاً هَاتَيْنِ الْبَيْضَاتِيْنِ! كَانَ يَكَادُ يَرَى مَا دَأْخِلُ الْعُشِّ. خَفْقَةٌ وَاحِدَةٌ، خَفْقَتَانِ، ثَلَاثُ خَفَقَاتٍ! عَضَّ بِلَاكِي لِسانَهُ لِيُمْنَعَ نَفْسَهُ مِنْ إِطْلَاقِ نَعِيقٍ حَادٍ مِنْ فَرْطِ الْإِحْبَاطِ وَالدَّهْشَةِ.

لَمْ يَكُنْ شَمَةَ بَيْضَاتٍ! أَجْلٌ لَمْ يَكُنْ شَمَةً أَثْرَ لِبِيْضٍ فِي ذَلِكَ الْعُشَّ الْقَدِيمِ. لَمْ تَكُنِ الْبَيْضَاتِ مَوْجُودَاتِينِ؛ لَأَنَّ ... مَاذَا تَعْنِيدُ؟ لَمْ تَكُنِ الْبَيْضَاتِ مَوْجُودَاتِينِ؛ لَأَنَّ بِلَاكِي رَأَى أَسْفَلَهُ مُبَاشِرَةً كُتْلَةً مِنَ الرِّيشِ أَخْفَتُهُمَا عَنِ الْأَنْظَارِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي حَاجَةٍ لِلنَّظَرِ مَرَّةً أُخْرَى لِيَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الْكُتْلَةُ الْكِبِيرَةُ مِنَ الرِّيشِ مَا هِيَ إِلَّا طَائِرٌ ضَحْمٌ؛ الطَّائِرُ صَاحِبُ هَاتَيْنِ الْبَيْضَاتِيْنِ.

لَمْ يَعُدْ بِلَاكِي أَدْرَاجُهُ كَمَا حَطَّطَ سَابِقًا، وَإِنَّمَا وَاصَلَ طَيَّارَهُ كَمَا لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَرَ شَيْئًا، وَأَرْتَجَفَ قَلِيلًا أَثْنَاءِ الطَّيَّارِ. ارْتَجَفَ بِلَاكِي؛ إِذْ تَخَيَّلَ مَا كَانَ سَيَحْدُثُ لَهُ لَوْ أَنَّهُ حَاوَلَ سَرْقَةَ هَاتَيْنِ الْبَيْضَاتِيْنِ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ وَأَمْسِكَ بِهِ.

وَقَالَ لِنَفْسِهِ: «حَمْدًا لِلَّهِ أَنِّي كُنْتُ حَكِيمًا بِأَنَّ تَرَكْتُهُمَا وَشَانْهُمَا. الْغَرِيبُ أَنِّي لَمْ أَحْمِنْ قَطُّ مِنْ صَاحِبِهِمَا. كَانَ يَتَبَيَّنِي أَنَّ أَعْرَفَ أَنَّهُ لَنْ يُفَكِّرُ فِي وَضْعِ الْبَيْضِ فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ إِلَّا ذَكْرُ الْبُومَةِ الْقَرْنَاءِ هُوتِي. وَقَدْ كَانَتِ السَّيِّدَةُ هُوتِي هِيَ مِنْ رَأَيْتِ فِي الْعُشِّ الْآنَ. وَيَا لِلْهَوْلِ! كَمْ هِي ضَحْمَةً! إِنَّهَا أَكْبَرُ مِنَ السَّيِّدِ هُوتِي نَفْسِهِ! مِنْ حُسْنِ الْحَظِّ أَنِّي لَمْ أَحَاوِلْ أَنْ أَحْصُلَ عَلَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَاتِيْنِ أَمْسِ. فَعَلَى الْأَرْجَحِ كَانَ السَّيِّدُ وَالسَّيِّدَةُ هُوتِي جَالِسَيْنِ قَرِيبًا مِنْهُمَا، وَلَكِنْ فِي سُكُونٍ بَالِغٍ حَتَّى إِنِّي ظَنَنْتُهُمَا جُزْءًا مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي يَجْلِسَانِ عَلَيْهَا. آهِ يَا بِلَاكِي! كُلَّمَا أَسْرَعْتَ بِنِسْيَانِ هَاتَيْنِ الْبَيْضَاتِيْنِ، كَانَ ذَلِكَ أَفْضَلَ».

شَمَةَ أَشْيَاءَ حَيْرٍ لَكَ أَنْ تَنْسَاهَا
بِمُجَرَّدِ أَنْ تَعْرِفَهَا.
فَمَنْ لَا يَلْعَبُ بِالنَّارِ
لَا يُحِرِّقُهُ لَهِبِيهَا.

الفصل الرابع

دَهَاءُ بِلَاكِي

عِنْدَمَا اكْتَشَفَ بِلَاكِي أَنَّ الْبَيْضَتَيْنِ الْمُوْجُودَتَيْنِ فِي الْعُشِّ الْقَدِيمِ لِلصَّقْرِ أحْمَرُ الذِيلِ فِي ذَلِكَ الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ تَعْوِدَانِ لِلسَّيِّدِ هُوتِي؛ اتَّحَدَ قَرَارًا مُمْتَازًا دُونَ تَرْدِدٍ؛ وَهُوَ أَنَّهُ سَوْفَ يَنْسَى أَمْرُهُمَا تَمَامًا. سَوْفَ يَنْسَى تَمَامًا أَنَّهُ رَاهُمَا وَيَقِنُّ بِعِيْدًا عَنْ هَذَا الرُّكْنِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. كَانَ هَذَا قَرَارًا حَكِيمًا لِلْغَايَةِ؛ فَمِنْ بَيْنِ سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ جَمِيعًا، لَا يُوجَدُ مَنْ هُوَ أَشَدُّ عُنْفًا أَوْ شَرَاسَةً مِنَ السَّيِّدِ هُوتِي، مَا عَدَ السَّيِّدَةَ هُوتِي. فَهِيَ أَضْحَمُ مِنَ السَّيِّدِ هُوتِي وَجَدِيرَةٌ تَمَامًا بِأَنْ يَخَافَهَا سُكَّانُ الْغَابَةِ الصَّغَارُ كَمَا يَخَافُونَ رَوْجَهَا.

كَانَ بِلَاكِي يَعِي ذَلِكَ كُلَّهُ، أَكْثَرُ مِنْ أَيِّ أَحَدٍ آخَرَ . وَلَيْسَ بِلَاكِي بِمَنْ يُوقَعُ نَفْسَهُ فِي الْمَتَاعِبِ بِإِرَادَتِهِ؛ لِذَلِكَ بِحُكْمِهِ أَنَّ يَسِّيَ أَمْرَ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ. وَكَمَا تَعْلَمُونَ فَإِنَّ اتَّخَادَ الْقَرَارِ أَمْرٌ، وَالْاِلْتَزَامُ بِهِ أَمْرٌ آخَرٌ تَمَامًا؛ فَقَدْ كَانَ مِنَ السَّهْلِ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ سَيِّسِيٌّ، وَلَكِنَّ الْفِعْلُ أَصْعَبُ بِكَثِيرٍ. كَانَ الْوَضْعُ سِيَحْتَلُّ لَوْ أَنَّهُ كَانَ فِي الرَّبِيعِ أَوْ فِي بِداِيَةِ الصَّيْفِ؛ حَيْثُ يَتَوَافَرُ كَثِيرٌ مِنَ الْبَيْضِ يُمْكِنُ أَنْ يَحْصُلَ عَلَيْهِ أَيُّ شَخْصٍ لَدَيْهِ مَا يَكْفِي مِنَ الذَّكَاءِ لِلْعُثُورِ عَلَى الْبَيْضِ وَسَرِقَتِهِ. وَلَكِنَّ بِمَا أَنَّ الْوَقْتَ كَانَ شَتَاءً آنَذَكَ (وَهُوَ وَقْتٌ يُسْتَبَعُدُ أَنْ يَصْعَبَ فِيهِ أَحَدُ بَيْضًا!) وَكَانَ مِنَ الصَّعْبِ إِيجَادُ مَا يَكْفِي مِنَ الطَّعَامِ لِسَدِّ جُوعِ الْغُرَابِ الْجَائِعِ، فَإِنَّ صُورَةَ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ ظَلَّتْ تُلْحُ عَلَى فِكْرِهِ؛ فَقَدْ «عَجَرَ» عَنْ نِسْيَانِهِمَا. وَبَعْدَ فَتْرَةٍ، كَفَّ عَنْ مُحاوَلَةِ نِسْيَانِهِمَا.

وَإِنَّ بِلَاكِي يَتَسَمُ بِقَدْرٍ كَبِيرٍ مِنَ الدَّهَاءِ، وَهُوَ أَحَدُ أَذْكَى الطُّيُورِ الصَّغِيرَةِ. فَلَا أَحَدٌ أَقْدَرُ مِنْهُ عَلَى تَدْبِيرِ الْحِيلِ لِلْأَخْرِينَ دُونَ الْوُقُوعِ فِي الْمَتَاعِبِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يُعْمِلُ ذَكَاءً

الْحَادَّ. بَلْ إِنَّ الْبَعْضَ بَلَغَتْ بِهِ الْقَسْوَةُ حَدًّا أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ يَقْضِي وَقْتَ فَرَاغِهِ كَلَّهُ فِي تَدْبِيرِ الْحِيلِ. وَكُلَّمَا فَكَرَ أَكْثَرُ فِي هَاتَيْنِ الْبَيْضَاتِينِ، زَادَتْ رَغْبَتُهُ فِي الْحُصُولِ عَلَيْهِمَا، وَسُرْغَانَ مَا بَدَا يُحَاوِلُ إِيجَادَ طَرِيقَةٍ لِلْحُصُولِ عَلَيْهِمَا دُونَ أَنْ يُعَرِّضَ حَيَاتَهُ لِلْخَطَرِ.

فَكَرَ قَائِلاً: «لَا أَسْتَطِيعُ فَعْلُ ذَلِكَ بِمُفْرَديٍ، وَلَكِنِي إِذَا أَطْلَعْتُ أَحَدًا عَلَى سُرِّي فَسَوْفَ أَضْطَرُ لِتَقَاسِمِ الْبَيْضَاتِينَ مَعْهُ. وَهَذَا لَنْ يَكُونُ، فَإِنَّا أَرِيدُهُمَا لِنَفْسِي. إِنَّا وَجَدْتُهُمَا، وَبِيَنِيَّغِي أَنْ أَحْصُلَ عَلَيْهِمَا». وَسَيِّئَ تَمَامًا — أَوْ تَنَاسِي — حَقِيقَةُ أَنَّ هَاتَيْنِ الْبَيْضَاتِينَ تَخْصَانِ فِي الْوَاقِعِ السَّيِّدِ وَالسَّيِّدَةِ هُوتِي دُونَ سِواهُمَا. وَفَكَرَ: «لَأَرَ مَاذَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَفْعَلَ!»

رَاحَ يُفَكِّرُ وَيُفَكِّرُ، وَشَيْئًا فَشَيْئًا بَدَأَتْ تَتَبَلُّرُ فِي رَأْسِهِ الْأَسْوَدِ الصَّغِيرِ خُطَّةً. ثُمَّ قَهْقَهَ ضَاحِكًا. قَهْقَهَ ضَاحِكًا بِصَوْتٍ عَالٍ، ثُمَّ نَظَرَ مِنْ حَوْلِهِ بِسُرْعَةٍ لِيَرَى مَا إِذَا كَانَ أَحَدٌ قَدْ سَمِعَهُ. لَمْ يَسْمِعْهُ أَحَدٌ، فَقَهْقَهَ ضَاحِكًا مَرَّةً أُخْرَى. ثُمَّ أَمَالَ رَأْسُهُ جَانِبًا وَعَيْنَاهُ نِصْفُ مُغْمَضَتِينِ، كَمَا لَوْ كَانَتِ الْخُطَّةُ شَيْئًا يُمْكِنُهُ أَنْ يَرَاهُ وَكَانَ يُمْعِنُ النَّظَرِ فِيهِ. ثُمَّ أَمَالَ رَأْسُهُ إِلَى الْجَانِبِ الْأَخْرَى وَأَعَادَ الْكَرَّةَ.

وَأَخِيرًا قَالَ: «لَا بَأْسَ! سَتَكُونُ تِلْكَ الْخُطَّةُ مُمْتَعَةً لِأَقَارِبِي، وَهُمْ بِالْطَّبِيعِ سَيُكُونُونَ مُمْتَنِينَ لِي كَثِيرًا لِدِلْكِ. وَلَنْ تُؤْذِي السَّيِّدِ وَالسَّيِّدَةَ هُوتِي الْبَتَّةَ، وَلَكِنَّهُمَا سَوْفَ تُغْضِبُهُمَا كَثِيرًا؛ فُهْمَا سَرِيعًا الْغَضَبِ، وَالْأَشْخَاصُ سَرِيعُو الْغَضَبِ غَالِبًا مَا يَسْسُونَ كُلَّ شَيْءٍ فِي غَضَبِهِمْ. سَوْفَ نَزُورُهُمَا عِنْدَمَا تَكُونُ الشَّمْسُ سَاطِعَةً؛ لِأَنَّهُمَا حِينَهَا رُبُّمَا لَنْ يَسْتَطِيعَا أَنْ يَرِيَا جَيِّدًا حَتَّى يُمْسِكَا بِنَا، وَسَنَغْيِظُهُمَا حَتَّى يَشْتَاطَا عَضَبًا وَيَنْسِيَا أَمْرَ حِرَاسَةِ الْبَيْضَاتِينِ. وَحِينَهَا سَوْفَ أَنْسَلُ وَأَخْذُ وَاحِدَةً مِنْهُمَا وَرُبُّمَا الْاثْتَتِينِ. بِذِلِكَ سَيُسَاعِدُنِي أَصْدِقَائِي وَأَقَارِبِي فِي الْحُصُولِ عَلَى وَجْبَةٍ شَهِيَّةٍ دُونَ عِلْمٍ مِنْهُمْ. يَا إِلَهِي! كَمْ سَتَكُونُ هَاتَيْنِ الْبَيْضَاتِانِ لَدِيَتِي!»

كَانَتْ خُطَّةُ ذَكِيَّةً وَمَاكِرَةً؛ فَبِلَاكِي وَغُدُّ ذَكِيُّ مَاكِرُ، وَلَكِنَّهَا بِالْطَّبِيعِ خُطَّةٌ لَا يَسْتَحِقُ النَّجَاحَ؛ فَأَيُّ شَيْءٍ يُسَبِّبُ قَلْقاً وَمَتَاعِبَ لَا دَاعِيَ لَهُمَا لِلْأَخْرِينَ لَا يَسْتَحِقُ النَّجَاحَ.

الفصل الخامس

بلاكي يَسْتَدِعِي أَصْدِقَاءَهُ

عِنْدَمَا يَتَعَقُّبُ بلاكي بِمِلْءِ فِيهِ،
يُهُرِّعُ أَقَارِبُهُ
إِلَى حَيْثُ يَنْتَظِرُ ذَلِكَ الدَّاهِيَّةُ.

إِنَّهُمْ يَعْرُفُونَ أَنَّهُ ثَمَةَ حِيلَةٍ وَشِيكَةٌ، وَدَائِمًا مَا تَكُونُ عَائِلَةُ الْغَرْبَانِ مُسْتَعِدَّةً لِلْحِيلِ. لِذَلِكَ فِي
هَذَا الصَّبَاحِ، عِنْدَمَا سَمِعُوا بلاكي يُطْلُقُ عَقِيرَتَهُ بِالنِّعِيقِ مِنْ نَاحِيَّةِ أَطْوَلِ شَجَرَةِ صَنوَبِيرِ
فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، هُرَعُوا إِلَيْهِ يَأْقُصُّهُ سُرْعَةً، مُنَادِيَنَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِحَمَاسٍ وَكُلُّهُمْ
شَقَّةٌ فِي أَنَّهُمْ سَيُمْضِيُونَ وَقْتًا طَيِّبًا.

ضَحِّكَ بلاكي بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ عِنْدَمَا رَاهُمْ قَادِمِينَ، وَصَاحَ قَائِلًا: «هَيَا أَسْرِعُوا، كَاؤْ!
كَاؤْ! أَسْرِعُوا وَاحْفِقُوا بِأَجْنِحَتِكُمْ أَسْرَعَ». أَعْرَفُ مَكَانَ السَّيِّدِ هوَيِّ، وَسَوْفَ نَقْضِي
وَقْتًا مُمْتَعًا مَعَهُ».»

فَصَاحَ جَمِيعُ أَقَارِبِهِ فِي سُرُورٍ: «كَاؤْ! كَاؤْ! أَيْنَ هُوَ؟ حُذْنَا إِلَيْهِ. سَوْفَ نَدْفَعُهُ
إِلَى الْخَرُوجِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ!»

فَقَادَ بلاكي أَقَارِبَهُ إِلَى ذَاكَ الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَاتَّجَهَ مُبَاشِرًا نَحْوَ
الشَّجَرَةِ الَّتِي يَنَامُ فِيهَا السَّيِّدُ هوَيِّ هَانِئًا. كَانَ بلاكي قَدْ حَرَصَ عَلَى التَّسْلُلِ مُبَكِّرًا ذَاكَ
الصَّبَاحِ لِيَتَكَدَّ مِنْ مَكَانِهِ تَحْدِيدًا. فَوَجَدَ هوَيِّ مُسْتَغْرِقًا فِي النَّوْمِ، وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَبْقِي
فِي مَكَانِهِ حَتَّى يَجِدَ اللَّيْلُ. وَكَمَا تَعْلَمُونَ، فَإِنَّ عَيْنَيْهِ هوَيِّ لَا تَعْلَمُنِ جَيْدًا فِي الضُّوءِ
السَّاطِعِ، وَكُلُّمَا اشْتَدَّ سُطُوعُ الضُّوءِ، أَجْهَدَتْ عَيْنَاهُ أَكْثَرَ.

كَانَ بلاكي يَعْلَمُ ذَلِكَ أَيْضًا:

لِذَا اخْتَارَ أَكْثَرَ أَوْقَاتِ النَّهَارِ سُطُوعًا لِمُنَادَاةِ أَقْرِبَائِهِ حَتَّى يُضَاهِقُوا هُوتِي الْمُسْكِينَ. كَانَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ الْمَرْحُ شَدِيدُ السُّطُوعِ، وَجَعَلَهُ التَّلْجُ الْأَبْيَضُ عَلَى الْأَرْضِ يَبْدُو أَكْثَرَ سُطُوعًا. وَحَتَّى بِلَاكِي نَفْسُهُ أَضْطَرَ لِأَنَّ يَطْرِفَ بِعَيْنِيهِ مِنْ شِدَّةِ الضَّوءِ، وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّ هُوتِي الْمُسْكِينَ سَيُوَاجِهُ صُعْبَوَةً أَكْبَرَ.

وَلَكِنْ كَانَ ثَمَّةَ أَمْرًا وَاحِدًا حَرَصَ بِلَاكِي عَلَى الْأَلَاءِ يُشَيرُ إِلَيْهِ بِأَيِّ شَكِّ؛ وَهُوَ أَنَّ السَّيْدَةَ هُوتِي كَانَتْ تَجْلِسُ بِالْقُرْبِ مِنَ السَّيْدِ هُوتِي. فَالسَّيْدَةُ هُوتِي أَكْبُرُ مِنَ السَّيْدِ هُوتِي حَجْمًا وَأَشَرُّسُ مِنْهُ، وَلَمْ يَكُنْ بِلَاكِي يَرْغُبُ فِي إِثَارَةِ ذُعْرِ أَقْارِبِهِ الْأَقْلَ جُرَاءً. وَمَا كَانَ يَأْمُلُ فِي حُدُوثِهِ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهِ الْمَاْكِرِ هُوَ أَنَّهُمْ عِنْدَمَا يَبْدُؤُونَ فِي إِعْاظَةِ السَّيْدَةِ هُوتِي وَمُهْضَايَقَتِهِ إِلَاحِدَاتِ الْجَلَبَةِ الْعَالِيَّةِ الَّتِي يَعْرُفُ أَنَّهُمْ سَيُحَدِّثُونَهَا، سَوْفَ تَغْضُبُ السَّيْدَةُ هُوتِي وَتَطْرِي لِتَنْضَمَ إِلَى السَّيْدِ هُوتِي فِي مُحاوَلَةِ إِبْعَادِ تِلْكَ الطُّيُورِ السَّوْدَاءِ الْمُزْعَجَةِ. وَجِينَهَا يَتَسَلَّلُ بِلَاكِي إِلَى الْعُشِّ الَّذِي تَرَكَتْهُ دُونَ حِرَاسَةٍ وَيَسِّرُقُ بِيَضْنَةٍ أَوْ رُبَّمَا يَسِّرُقُ الْبَيْضَاتِ الَّتِي يَعْرِفُ بِوُجُودِهِمَا فِيهِ.

عِنْدَمَا وَصَلَوْا إِلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي يَجْلِسُ عَلَيْهَا هُوتِي، كَانَ يَطْرِفُ بِعَيْنِيهِ الصَّفْرَاوَيْنِ الْوَاسِعَتَيْنِ وَقَدِ انْفَقَشَ رِيشُهُ، وَهُوَ مَا يَقْعُلُهُ عِنْدَمَا يَغْضُبُ، لِيَبْدُو ضِعْفَ حَجْمِهِ الْحَقِيقِيِّ. بِالظَّبْعِ، كَانَ هُوتِي قَدْ سَمِعَ السُّرْبَ الْمُزْعَجَ قَادِمًا، وَعَلِمَ تَمَامًا مَا يَتَبَغِي أَنْ يَتَوَقَّعُهُ مِنْهُمْ. وَمَا إِنْ رَأَوْهُ، حَتَّى بَدَأُوا فِي الصَّيَاحِ بِأَعْلَى صَوْتِهِمْ وَسَبِّهِ بِأَقْدَعِ الْأَلْفَاظِ. وَكَانَ أَجْرَؤُهُمْ يَنْقُضُ عَلَيْهِ كَمَا لَوْ كَانَ سَيَنْتَزَعُ مِلْءَ فَمِهِ مِنْ رِيشِهِ، وَلَكِنْ مَعَ تَوْحِي أَشَدَّ الْحَدَرِ مِنْ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ أَكْثَرُ مِنَ الْلَّازِمِ. فَطَرِيقَةُ فَحِيحِ هُوتِي وَطَقْطَقَةُ مِنْقَارِهِ الْكَبِيرِ كَانَتْ تُنْذِرُ بِخَطَرِ بَالِغِ، وَكَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِذَا مَا أَمْسَكَ بِأَحَدِهِمْ بَيْنَ مَخَالِبِهِ الْقُوَيْةِ الْكِبِيرَةِ، فَسَتَكُونُ نِهايَتُهُ.

وَلِذَا اكْتَفَوْا بِسَبِّهِ وَالصَّيَاحِ عَلَيْهِ وَالتَّحْلِيقِ حَوْلَهُ، بَعِيدًا عَنْ مُتَنَاؤِلِ مَخَالِبِهِ، وَبِإِشْعَارِهِ بِالِإِنْزِعَاجِ بِصَفَةِ عَامِمَةٍ، وَكَانُوا مُنْهَمِكِينَ لِلْعَایَةِ فِي ذَلِكَ حَتَّى إِنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يُلْحَظْ أَنَّ بِلَاكِي لَمْ يَشْتَرِكْ فِي اللَّهُو، وَلَمْ يَتَبَتَّهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِعُشِ الصَّقْرِ أَحْمَرِ الذِيلِ الْقَبِيمِ عَلَى بُعْدِ بِضْعِ أَشْجَارٍ. فَحَتَّى تِلْكَ الْلَّحْظَةِ، كَانَتْ خُطَطُ بِلَاكِي تَسِيرُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي أَمْلَهُ.

الفصل السادس

السَّيِّدُ هوٰتِي لَمْ يَبْقَ فِي مَكَانِهِ

مَا جَدُوا الْخُطْطِ الْذِكَرَ
إِنْ لَمْ يَسِّرِ الْأَخْرُونَ عَلَيْهَا؟

إذا لم يكن بلاكي قال ذلك لنفسه، فإنه قد فكر فيه. فهو كان يعلم أنه قد وضع خطة بارعةً من أجل الحصول على بيضته السيد هوٰتي؛ خطة ذكية وبارعةً لم يكن أحد آخر في الغاية الخضراء أو في المروج الخضراء ليفكّر فيها. ولكن كانت شدة نقطة ضعفه وحيدةً بها؛ وهي أنها كانت تعتمد في نجاحها على أن يلزم هوٰتي سلوكه المعتاد عندما يضايقه سربٌ من الغربان المزعجة؛ لأنَّه هو البقاء في مكانه حتى تتعب الغربان وتطرير بعيدًا.

بلاكي أحياً ما يقع في حطأً كثيرةً ما يقع فيه الأذكياء؛ فهو يظن أنه بما أنه ذكي للغاية فالآخرون أغبياء. وهنا يثبت أنه، رغم ذكائه، ليس ذكيًا بالدرجة التي يظنها. فهو دائمًا ما كان يظن السيد هوٰتي غبيًا. هذا هو ما كان يراه فيه أبناء النهار. ولكن في الليل، عندما يستيقظ من نوم عميق على صوت نعيق هوٰتي المجلجل إذ يصطاد، لا يظل متأكداً من أن هوٰتي غبي، وكان دائمًا ما يحرص على البقاء ثابتاً في الظلام؛ خشية أن تسممهه أذنا هوٰتي الكيرتان، وتحده عينا هوٰتي الواسعات المخصّصات للرؤى في الظلام. فأثناء الليل كان بلاكي يفقد يقينه في غباء هوٰتي تمامًا.

ولكنه في النهار كان متأكداً من أنه غبي؛ فقد نسي تماماً حقيقة أن ضوء النهار بالنسبة إلى هوٰتي مثل ظلمة الليل بالنسبة إليه. بقاء هوٰتي في مكانه وفحيجه وطقوفته

يُمنقَاره — عوْضاً عَنْ مُحاوَلَةِ إِمْسَاكِ الْمُزْعِجِينَ أَوِ الطَّيْرَانَ بَعِيداً — جَعَلَتْ بلاكي يَصْنُفُهُ بِالْعَبَاءِ. وَكَانَ مُنِيقَنَا مِنْ أَنْ هُوتِي سَيَقْنَى فِي مَكَانِهِ، وَيَأْمُلُ أَنْ تَغْضَبَ السَّيِّدَهُ هُوتِي وَتَتَرْكَ الْعُشَّ الَّذِي تَرْقُدُ فِيهِ عَلَى الْبَيْضَتَيْنِ وَتَنْضَمُ إِلَيْهِ هُوتِي لِمُسَاعِدَتِهِ فِي إِبْعَادِ هَذَا السُّرْبِ الْمُزْعِجِ.

لِكِنَّ هُوتِي لَيْسَ غَيِّراً، لَيْسَ غَيِّراً عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ فَفِي الْحَلْظَهِ التَّيْ اكْتَشَفَ فِيهَا أَنَّ بلاكي وَأَصْدِقاءُهُ عَرَفُوا مَكَانَهُ، فَكَرَّ فِي السَّيِّدَهُ هُوتِي وَالْبَيْضَتَيْنِ الْغَالِيَتَيْنِ الْمُوجُودَتَيْنِ فِي الْعُشِ الْقَدِيمِ لِلصَّقْرِ أحْمَرِ الذِيلِ عَلَى مَقْرَبَهِ مِنْهُ.

فَفَكَرَ قَائِلاً لِنَفْسِهِ: «يَحْبُّ أَلَا نُزَعِّجَ السَّيِّدَهُ هُوتِي. هَذَا لَنْ يَكُونَ. يَحْبُّ أَنْ أُبَيْعَدَ هُؤُلَاءِ الْأَوْغَادِ السُّودَ بَعِيداً حَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُونَ اكْتِشَافَ مَكَانِ السَّيِّدَهُ هُوتِي. لَا بُدُّ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ وَلَا شَكَّ.»

لِذَا بَسَطَ جَنَاحَيْهِ الْكِبِيرَيْنِ وَطَارَ مَسَافَهَ قَصِيرَهُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ مُتَرْتِحًا. لَمْ يُحَلِّقْ بَعِيداً لِأَنَّهُ فِي الْحَلْظَهِ التَّيْ بَدَأَ فِيهَا الطَّيْرَانَ تَعْهُ السُّرْبُ الْمُزْعِجُ كُلُّهُ بِاسْتِثْنَاءِ بلاكي. وَلِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْتَطِعُ اسْتِخْدَامَ مَخَالِبِهِ أَوْ مِنْقَارِهِ أَثْنَاءِ الطَّيْرَانِ، ازْدَادَتْ جُرْأَتُهُ حَتَّى اقْتَلَعُوا بَعْضَ الرَّبِيشِ مِنْ ظَهُورِهِ؛ لِذَا طَارَ مَسَافَهَ قَصِيرَهُ حَتَّى شَجَرَةِ شُوكَرَانِ كَثِيفَهُ الْأَغْصَانِ؛ حَيْثُ لَنْ تَسْتَطِعَ الْغَرْبَانُ الْوُصُولُ إِلَيْهِ بِسُهُولَهُ وَلَنْ يُؤْدِيَهُ ضَوْءُ النَّهَارِ كَثِيرًا. وَهُنَاكَ ارْتَاحَ قَلِيلًا ثُمَّ أَعْادَ الْكَرَّهَةَ. كَانَ يَنْوِي تَوْجِيهِ تِلْكَ الْغَرْبَانِ الْمُزْعِجَهُ نَحْوَ الْجُزَءِ الْمُمْطَلِّمِ مِنِ الْغَابَهِ الْخَضَرَاءِ، وَهُنَاكَ يَسْتَطِعُ أَنْ يَرَى أَفْضَلَ وَرَبِّيَّا يَنْهَوْرُ أَحَدُهُمْ بِمَا يَكْفِي لَأَنْ يَقْرَبَ حَتَّى يَصِيرَ فِي مُتَنَاوِلِيَّهُ. لَمْ يَكُنْ هُوتِي غَيِّراً. هَذَا مَمَّا لَا شَكَ فِيهِ.

انتَبِهِ بلاكي لِهَذِهِ الْحَقِيقَهُ بَيْنَما كَانَ قَابِعًا عَلَى قِمَّهُ شَجَرِ صَنوُورٍ عَالِيَّهُ يُرَاقبُ الْمُوقَفَ فِي صَمَتِهِ. كَانَ يَرَى السَّيِّدَهُ هُوتِي فِي الْعُشِّ، وَبَيْنَمَا كَانَتْ ضَوْضَاءُ مُزْعِجيِ السَّيِّدَهُ هُوتِي تَبَتَّعِدُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ، اعْتَدَلَتْ فِي رَقْدِهَا وَأَغْمَضَتْ عَيْنِيهَا. تَحِيلَ بلاكي أَنَّهَا بَيْتَسِمُ لِنَفْسِهَا، وَكَانَ وَاضِحًا أَنَّهَا لَا تُفْكِرُ مُطْلَقاً فِي الذَّهَابِ لِمُسَاعِدَهُ هُوتِي. لَقَدْ فَشَلتْ خُطَّهُ الرَّائِعَهُ؛ لِأَنَّ هُوتِي الغَيِّي — وَالَّذِي لَمْ يَكُنْ غَيِّراً عَلَى الْإِطْلَاقِ — طَارَ بَعِيداً عِنْدَمَا كَانَ يَتَبَغِي أَنْ يَبْقَى فِي مَكَانِهِ. كَانَ ذَلِكَ أَمْرًا مُسْتَفِزاً لِلْغَایيَهِ.

الفصل السادس

بلاكي يُجَرِّب خُطْةً جَدِيدَةً

عِنْدَمَا تَفْشِلُ خُطْهَةً، جَرِّبْ غَيْرَهَا؛
أَعْلَنْ أَنَّكَ سَتَفْوَزُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَوْ بِغَيْرِهَا.

النَّاجِحُونَ هُمُ الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ لَا يَسْتَسْلِمُونَ لِأَنَّهُمْ أَخْفَقُوا فِي التَّجْرِيبَةِ الْأُولَى. إِنَّهُمْ الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ – بِمُجَرَّدِ أَنْ تَفْشِلُ خُطْهَةً – يَسْتَغْلُونَ عَلَى الْفَوْرِ بِتَدْبِيرٍ أُخْرَى وَتَجْرِيبِهَا. وَإِذَا كَانَ مَا يُحَاوِلُونَ فِعْلَهُ أَمْرًا صَالِحًا، فَعَاجِلًا أَوْ آجِلًا سَوْفَ يَنْجُحُونَ. وَإِذَا كَانُوا يُحَاوِلُونَ فِعْلًا مُنْكَرًا، فَفِي أَغْلَبِ الْأَحوالِ تَفْشِلُ خُطْطُهُمْ، وَهَذَا مَا تَسْتَحْقُهُ. يَعْلَمُ الْغَرَابُ بِلَاكِي قِيمَةَ الْمُتَابِرَةِ. وَهُوَ لَا يَبْيَسُ بِسُهُولَةٍ. أَحْيَا إِنَّهُ يَكُونُ ذَلِكَ مَدْعَاءً لِلأسَفِ؛ لِأَنَّهُ يُدْبِرُ كَثِيرًا مِنَ الْحِيلِ. وَلِكِنَّ الْحَقِيقَةَ تَظَلُّ أَنَّهُ لَا يَبْيَسُ بِسُهُولَةٍ، وَيَظْلِمُ يُحَاوِلُ وَيُحَاوِلُ حَتَّى لَا يَسْتَطِعَ التَّفْكِيرَ فِي خُطْهَةٍ أُخْرَى، وَعِنْدَهَا «يُضْطَرُّ» إِلَى اسْتِسْلَامٍ. وَعِنْدَمَا دَعَا أَقْارِبَهُ كُلُّهُمْ لِلِانْضِمَامِ إِلَيْهِ فِي إِرْعَاجِ السَّيِّدِ هوَتِي، اعْتَقَدَ أَنَّ لَدِيهِ خُطَّةً لَا يُمْكِنُ أَنْ تَفْشِلَ. وَكَانَ مُنَاكِدًا مِنْ أَنَّ السَّيِّدَةَ هوَتِي سَوْفَ تَرْكُ عُشَّهَا وَتُسَاعِدُ هوَتِي فِي إِبْعَادِ الْمُزْعِجِينَ. وَلِكِنَّ السَّيِّدَةَ هوَتِي لَمْ تَفْعَلْ؛ لِأَنَّهُوَتِي كَانَ ذَكِيرًا وَفَطِنًا بِمَا يَكْفِي لِأَنْ يُوجِّهَ هَوْلَاءِ الْمُزْعِجِينَ بَعِيدًا عَنِ الْعُشِّ نَحْوَ الْجُزْءِ الْمُظْلِمِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ حَيْثُ لَنْ تُرْعَجَ ضَوْضَاوُهُمُ السَّيِّدَةَ هوَتِي. لِذَا اعْتَدَلَتِ فِي رَقْدَتِهَا عَلَى الْبَيْضَاتِينِ اللَّتَّيْنِ كَانَ بِلَاكِي يَأْمُلُ أَنْ تَمْنَحَهُ فَرْصَةً لِسِرْقَتِهِمَا، وَبِهَذَا أَفْسَدَتْ خُطَّتَهُ الْمُحْكَمَةَ.

لَمْ يُلْحَظْ أَحَدٌ مِنْ أَقْارِبِهِ هَذَا الْعُشَّ، حَيْثُ كَانُوا مَشْغُولِينَ تَمَامًا بِإِغْاظَةِ هوَتِي. وَهَذَا مَا كَانَ بِلَاكِي يَأْمُلُ فِي حُدوِّهِ. فَلَمْ يَكُنْ يَرْغُبُ فِي أَنْ يَعْلَمُوا بِأَمْرِ الْعُشِّ؛ لِأَنَّهُ أَنَانِيُّ وَأَرَادَ

أَن يَحْصُلَ عَلَى الْبَيْضَتَيْنِ وَحْدَهُ. وَلَكِنَّهُ أَذْرَكَ أَنَّ الطَّرِيقَةَ الْوَحِيدَةَ هُوتِي تَقْوُمُ مِنْ عَلَى الْبَيْضَتَيْنِ هِيَ مُضَايِقَتُهَا حَتَّى تَغْضَبَ وَتُخَاهِلُ الْإِمْسَاكَ بِمُضَايِقِهَا. وَإِذَا فَعَلَتْ ذَلِكَ، فَسَتَسْنَحُ الْفُرْصَةُ لِأَنَّ يَتَسَلَّلَ وَيَأْخُذَ بَيْضَهُ وَاحِدَةً عَلَى الْأَقْلِ مِنَ الْبَيْضَتَيْنِ. وَقَرَرَ أَنْ يُخَاهِلَ تَجْرِيَةَ ذَلِكَ.

أَصَاحَ بِلَكِي السَّمْعَ بِضُبْعَ دَقَائِقٍ مُصْغِيًّا إِلَى ضَوْضَاءِ أَقَارِبِهِ الَّتِي رَاحَتْ تَحْفَتُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا، بَيْنَمَا رَاحَ هُوتِي يَتَوَغلُ بِهِمْ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ دَاخِلَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. وَجِينَهَا فَتَحَ فَمُهُ. صَاحَ بِلَكِي مُنَادِيًّا: «كَاؤْ كَاؤْ كَاؤْ كَاؤْ كَاؤْ كَاؤْ كَاؤْ كَاؤْ! عُودُوا إِلَى هُنَا جَمِيعًا! هَا هِيَ السَّيْدَةُ هُوتِي فِي عُشَّهَا! كَاؤْ كَاؤْ كَاؤْ كَاؤْ!»

مَا إِنْ سَمِعَ أَقَارِبُ بِلَكِي ذَلِكَ، حَتَّى تَوَقَّفُوا عَنْ مُطَارَدَةِ السَّيْدِ هُوتِي وَإِزْعَاجِهِ وَعَادُوا بِأَقْصَى سُرْعَةٍ؛ فَهُمْ لَمْ يُجِبُوا الْجُزْءَ الْمُظْلَمَ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، الَّذِي كَانَ هُوتِي يَقُودُهُمْ إِلَيْهِ. كَمَا أَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَرَوْا ذَلِكَ الْعُشَّ؛ لِذَلِكَ عَادُوا مُطْلِقِينَ عَقِيرَتَهُمْ بِالنَّعِيقِ مِنْ قَرْطِ حَمَاسِهِمْ. فَبَعْضُهُمْ لَمْ يَكُنْ قَدْ رَأَى عُشًا لِهُوتِي مِنْ قَبْلٍ. وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ، فَقَدْ كَانَ إِرْعَاجُ السَّيْدَةِ هُوتِي مُمْتَنِعًا بِنَفْسِ الْقُدْرِ كِإِرْعَاجِ السَّيْدِ هُوتِي.

صَاحُوا قَائِلِينَ: «أَيْنَ الْعُشُّ؟ بَيْنَمَا عَادُوا إِلَى حَيْثُ كَانَ بِلَكِي يَنْعُقُ مُتَظَاهِرًا بِبَالِغِ الإِثَارَةِ.

فَقَالَ أَحَدُهُمْ مُتَعَجِّبًا: «عَجَبًا! هَذَا هُوَ الْعُشُّ الْقَدِيمُ لِلصَّفَرِ أَحْمَرُ الذِيلِ. إِنِّي أَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ هَذَا الْعُشِّ.» وَنَظَرَ إِلَى بِلَكِي كَمَا لوْ كَانَ يَظْنُ أَنَّهُ يَخْدُعُهُمْ.

فَرَدَّ بِلَكِي قَائِلًا: «كَانَ عُشَّ أَحْمَرُ الذِيلِ، وَلَكِنَّهُ الْآنَ عُشُّ هُوتِي. إِذَا كُنْتَ لَا تُصَدِّقُنِي، فَالْأَقِ نَظْرَةً بِدَاخِلِهِ.»

وَفِي لَمْحِ الْبَصَرِ حَلَّقُوا جَمِيعًا فَوْقَ قَمَةِ الشَّجَرَةِ؛ حَيْثُ يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَنْتَظِرُوا إِلَى الْعُشِّ. وَبِالْفِعْلِ، كَانَتِ السَّيْدَةُ هُوتِي قَابِعَةً فِيهِ وَعِينَاهَا الْكِبِيرَاتِنِ الْمُسْتَدِيرَاتِنِ الصَّفَرَاوَانِ تَنْتَظِرَانِ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ. وَيَا لِلْجَلَبَةِ الَّتِي ثَارَتْ! عَلَى الْفَقْوِرِ نَسِيَتِ الْغَرْبَانُ أَمْرَ السَّيْدِ هُوتِي، وَفَوْرًا بَدَأَ السُّرْبُ كُلُّهُ يُضَايِقُ السَّيْدَةَ هُوتِي. كَانَ بِلَكِي هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي جَلَسَ يُشَاهِدُ فِي صَمْتٍ، مُنْتَظَرًا غَضَبَ السَّيْدَةِ هُوتِي وَمُحَاوِلَتِهِ إِمْسَاكَ أَحَدِ مُضَايِقِهَا. كَانَ لَدِيهِ أَمْلٌ — أَمْلٌ كِبِيرٌ — فِي أَنْ يَحْصُلَ عَلَى إِحْدَى هَاتِئِنِ الْبَيْضَتَيْنِ.

الفصل الثامن

هوتي يَهُب لِنَجْدَةِ السَّيِّدَةِ هُوتِي

لَا يُمْكِن لِأَحَد أَنْ يَعِيش لِنَفْسِه فَقَطْ. يَعْتَقِد كَثِيرٌ مِنَ الْأَشْخَاص أَنَّهُمْ يُمْكِنُهُم ذَلِك، وَلَكِنَّهُمْ مُخْطَلُونَ لِلْغَایَةِ. وَهُمْ يَقْعُونَ فِي خَطَاً مِنْ أَعْظَمِ الْأَخْطَاءِ فِي الْعَالَمِ؛ فَكُلُّ فِعْلٍ صَغِيرٍ – أَيًّا كَانَ – يُؤثِّرُ فِي شَخْصٍ آخَرَ. وَهَذَا هُوَ أَحَدُ الْقُوَّانِينِ الْعَظِيمَةِ لَدِي الْطَّبِيعَةِ الْأَمُّ الْعَجُوزِ، وَيَسِّرِي بَيْنَ سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضَرَاءِ وَالْمُرْوِجِ الْخَضَرَاءِ، وَكَذَلِكَ بَيْنَ الْأَوْلَادِ وَالْبَنَاتِ وَالْبَالَّغِينَ. إِنَّهَا طَرِيقَةُ الْطَّبِيعَةِ الْأَمُّ الْعَجُوزِ لِجَعْلِنَا مَسْؤُلِينَ عَنِ الْمُضْلَحَةِ الْعَامَّةِ وَلِتَعْلِيمِنَا أَنَّهُ يَبْغِي لَنَا أَنْ نَتَّخَاوَنَ دَوْمًا.

وَكَمَا تَعْلَمُونَ، عِنْدَمَا نَادَى بِلَاكِي جِمِيعَ أَقْارِبِهِ لِلْمُجِيءِ إِلَى الْعُشِّ الَّذِي تَرْقُدُ فِيهِ السَّيِّدَةُ هُوتِي عَلَى بَيْضَتِهَا، تَوَقَّفُوا عَلَى الْفُورِ عَنْ مُضَايِقَةِ هُوتِي وَتَرْكُوهُ وَحِيدًا عَلَى شَجَرَةِ الشَّوْكَرَانِ كَثِيفَةِ الْأَعْصَانِ فِي الْجَانِبِ الْمُظْلَمِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضَرَاءِ. بِالْطَّبِيعِ كَانَ هُوتِي مَسْرُورًا لِأَنَّهُمْ تَرْكُوهُ فِي سَلَامٍ، وَكَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَقْضِي بِقِيَةَ النَّهَارِ نَائِمًا مُسْتَرِيحًا فِي هَذَا الْمَكَانِ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعُلْ ... أَجْلَ لَمْ يَفْعُلْ ذَلِكَ. فِي الْبِدايَةِ تَنَفَّسَ الصُّعَداءَ وَاسْتَقَرَّ فِي مَجْلِسِهِ كَمَا لَوْ أَنَّهُ يَنْبُوِي الْبَقاءَ. وَأَنْصَتَ فِي سُرُورِ لِأَصْوَاتِ تِلْكَ الْغَرْبَانِ الْمُزْعَجَةِ وَهِيَ تَخْفُتُ شَيْئًا فَشَيْئًا. وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ لِيُضِعِّفْ دَقَائِقَ قَحْسُبْ. فَسُرْعَانَ مَا بَدَأَتِ الْأَصْوَاتُ تَتَنَعَّلُ، وَبَدَأْتِ فِيهَا الْإِنْتَازَةُ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضِي، وَكَانَتْ تَأْتِي مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ. حِينَهَا عَلِمَ هُوتِي أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُزْعِجِينَ قَدْ اكْتَشَفُوا الْعُشَّ الَّذِي تَقْبِعُ فِيهِ السَّيِّدَةُ هُوتِي، وَأَنَّهُمْ يُزْعِجُونَهَا كَمَا كَانُوا يُزْعِجُونَهُ.

طَقْطَقَ مِنْقَارَهُ بِغَضَبٍ ثُمَّ أَعَادَ الْكَرَّةَ بِغَضَبٍ أَشَدَّ.

وَتَمَّتْ مُتَدَمِّرًا: «أَعْتَقْدُ أَنَّ السَّيِّدَةَ هُوتِي قَابِرَةً تَمَّاً عَلَى الْإِعْتِنَاءِ بِنَفْسِهَا، وَلَكِنْ لَا يَنْبَغِي إِذْ عَاجِهَا بَيْنَمَا تَرْقُدُ عَلَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ. أَكْرَهُ أَنْ أَعُودَ إِلَى هُنَاكَ فِي ضَوءِ الشَّمْسِ السَّاطِع؛ فَهُوَ يُؤْذِي عَيْنَيَ، وَأَنَا أَكْرَهُ ذَلِكَ، وَلَكِنِي أَعْقَدْ أَنَّنِي سَاضْطُرُ لِلْعُودَةِ إِلَى هُنَاكَ؛ فَالسَّيِّدَةُ هُوتِي تَحْتَاجُ مُسَاعِدَتِي. كُنْتُ أَفْضُلُ الْبَقَاءِ هُنَاكَ، وَلَكِنْ ...»
 لَمْ يُنْهِ كَلَامَهُ، وَإِنَّمَا بَسَطَ جَنَاحِيهِ الْكَبِيرَيْنِ وَحَلَقَ عَائِدًا إِلَى الْعَشِ وَإِلَى السَّيِّدَةِ هُوتِي. لَمْ يُحِدْ جَنَاحَاهُ الْكَبِيرَانِ أَيْ صَوْتٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمَا مُعْدَانٌ لِلطَّيْرَانِ فِي صَمْتٍ. وَقَالَ مُتَمَّمًا: «إِذَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْسِكَ بِأَحَدِ هَوْلَاءِ الْغَرْبَانِ! إِذَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْسِكَ بِأَحَدِ هَوْلَاءِ الْغَرْبَانِ، فَسَوْفَ ...» وَلَمْ يَقُلْ مَاذَا سَيَفْعَلُ، وَلَكِنْ إِذَا كُنْتَ قَرِيبًا مِنْهُ بِمَا يَكْفِي لِسَمَاعِ طَقْطَقَةِ مِنْقَارِهِ، كُنْتَ سَتَّحْمَنُ الْبَقِيَّةَ.

طَوَّالَ ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَتِ الْغَرْبَانِ تَقْضِي مَا تُسَمِّيهِ وَقْتًا مُمْتَعًا مَعَ السَّيِّدَةِ هُوتِي، وَلَكِنْ لَا مُمْتَعَةَ حَقِيقَيَّةً فِي عَمَلِ يُرْعِجُ الْأَخْرِينِ، غَيْرَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَشْخَاصِ يَنْسُونَ ذَلِكَ لِسَبِّبِ أَوْ لِأَخْرِ. وَبَيْنَمَا جَلَسَ بِلَاكِي يَتَفَرَّجُ، رَاحَ أَقْارِبُهُ يُثِيرونَ ضَجَّةً عَظِيمَةً حَوْلَ السَّيِّدَةِ هُوتِي، وَكَلَّمَا ازْدَادَ غَضَبُهَا، ازْدَادَ صِيَاحُهُمْ وَسَبُّهُمْ لَهَا وَانِقْضَاضُهُمْ عَلَيْهَا، مُتَظَاهِرِينَ بِأَنَّهُمْ سَيَقْاتِلُونَهَا. كَانَ الْغَرْبَانُ مُنْهَمِكِيَّنَ لِلْغَايَاةِ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ بِلَاكِي مُنْهَمِكًا تَمَّاً فِي مُرَاقِبَتِهِمْ — أَمْلَا أَنْ تَرْتُكَ السَّيِّدَةُ هُوتِي الْعَشَ وَتَنْتَهُ الْفُرْصَةُ لِسَرْقَةِ الْبَيْضَتَيْنِ اللَّتَيْنِ يَعْرُفُ أَنَّهَا تَرْقُدُ عَلَيْهِمَا — حَتَّى إِنَّ أَحَدًا لَمْ يُفَكِّرْ فِي السَّيِّدَ هُوتِي.

وَفَجَأَةً، ظَهَرَ هُوتِي عَلَى الشَّجَرَةِ الْمُلَاصِقَةِ لِلْعَشِ! لَمْ يَسْمَعْهُ أَحَدُهُمْ قَادِمًا، وَلَكِنَّهُ ظَهَرَ فَجَأَةً، وَقَدْ أَمْسَكَ بَيْنَ مَخَالِبِ إِحْدَى قَدَمِيهِ رِيشَ دَبِيلِ أَحَدِ أَقْارِبِ بِلَاكِي. كَانَ الْغَرَابُ مَحْظُوظًا، مَحْظُوطًا لِلْغَايَاةِ بِالْفَعْلِ؛ حَيْثُ كَانَ ضَوءُ الشَّمْسِ يُعْمِي عَيْنَيَ هُوتِي، فَلَمْ يُصِبْ هَدْفَهُ. وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَتِ الْغَرْبَانُ قَلَّتْ وَاحِدًا.

وَإِنَّ إِغَاظَةَ بُومَةِ وَاحِدَةِ شَيْءٍ، وَإِغَاظَةَ بُومَتَيْنِ مَعًا شَيْءٍ آخَرَ تَمَّاً. وَإِلَى جَانِبِ ذَلِكَ، كَانَتْ هُنَاكَ رِيشَاتُ الدَّبِيلِ السَّوْدَاءُ الَّتِي يَحْمِلُهَا الْهَوَاءُ نَحْوَ الْأَرْضِ الْمُغَطَّاةِ بِالثُّلُوجِ. وَفَجَأَةً قَرَرَتِ الْغَرْبَانُ أَنَّهَا قَدْ حَصَلَتْ عَلَى مَا يَكْفِي مِنَ الْمُمْتَعَةِ لِهَذَا الْيَوْمِ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ جُهُودِ بِلَاكِي لِيُقَافِهِمْ، حَلَقُوا بَعِيدًا، صَائِحَيْنَ بِصَوْتٍ عَالٍ وَمُتَحَاوِرِيْنَ بِحَلَّةٍ شَدِيدَةٍ. كَانَ بِلَاكِي آخِرَ مَنْ غَادَرَ الْمَكَانَ، كَسِيرَ الْفَوَادِ. وَرَاحَ يُفَكِّرْ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ.

الفصل التاسع

بلاكي يُفكِّر في ابنِ المُرَارِع براون

قالَ بلاكي مُندَمًا: «يا له من حَظٌ سَيِّئًا!» بَيْنَما طَارَ نَحْوَ شَجَرَتِهِ الْمُفَضَّلَةِ لِيُفَكِّرُ قَليلاً. وَأَرْدَفَ لِنَفْسِهِ: «حَظٌ سَيِّئٌ بِالْفَعْلِ! كُلُّ جِيرَانِي يَعْرِفُونَ الَّذِي يَأْمُرُ عُشَّ السَّيِّدِ هوَ تِهْيَةِ عَاجِلًا أوْ آجَلًا، سَوْفَ يَكْتَشِفُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ بِيَدِيَّتِينِ. لَكِنَّ عَزَائِي الْوَحِيدُ هُوَ أَنِّي إِذَا لَمْ أَسْتَطِعِ الْحُصُولَ عَلَيْهِمَا، فَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَقْارِبِي الْحُصُولَ عَلَيْهِمَا؛ فَقَدْ حَاوَلْتُ بِكُلِّ مَا خَطَرَ عَلَى بَالِي مِنْ سُبْلٍ، وَمَا زَالَتْ هَاتَانِ الْبَيْضَاتِنَ حِثْ هُمَا. يَا إِلَهِي! كَمْ أَوْدُ الْحُصُولَ عَلَى إِحْدَاهُمَا الَّذِي!»

بَعْدَ ذَلِكَ، فَعَلَ بلاكي شَيْئاً كَثِيرًا مَا يَفْعُلُهُ الْأَشْرَارُ عِنْدَمَا تَخِيبُ أَمَالُهُمْ؛ إِذْ بَدَا فِي إِلْقاءِ اللَّوْمِ عَلَى الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ كَانُوا يُحَاوِلُونَ الْإِضْرَارِ بِهِمْ لِفَشْلِ خُطْطِهِ. وَإِذَا كُنْتَ سَمِعْتَهُ بَيْنَما يُحَدِّثُ نَفْسَهُ، كُنْتَ ظَنِنتَ أَنَّ هَاتَيْنِ الْبَيْضَاتِينِ مِلْكُهُ حَقًا وَأَنَّ السَّيِّدَ وَالسَّيِّدةَ هُوتِي قَدْ سَرَقَاهُمَا مِنْهُ. أَجَل! هَذَا مَا كُنْتَ سَتَفْكِرُ فِيهِ إِذَا أَسْتَطَعْتَ سَمَاعَهُ بَيْنَما يُحَدِّثُ نَفْسَهُ عَلَى قِمَّةِ الشَّجَرَةِ. وَهُوَ فِي غَمْرَةِ إِحْبَاطِهِ لِعَدَمِ حُصُولِهِ عَلَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَاتِينِ، كَانَ يَرْثِي حَالَهُ، حَتَّى إِنَّهُ شَعَرَ حَقًا بِأَنَّ الظُّلْمَ وَقَعَ عَلَيْهِ هُوَ؛ وَأَنَّهُ كَانَ يَحْبُّ عَلَى السَّيِّدِ وَالسَّيِّدةِ هُوتِي أَنْ يَسْمَحَا لَهُ بِالْحُصُولِ عَلَى الْبَيْضَاتِينِ.

بِالطَّبِيعِ كَانَتْ تِلْكَ حَمَاقَةً خَالِصَةً، وَلِكِنَّهُ أَقْنَعَ نَفْسَهُ بِهَا، أَوْ عَلَى الأَقْلَى، تَظَاهَرَ بِاْقْتِنَاعِهِ بِهَا. وَكُلَّمَا ازْدَادَ تَظَاهِرُهُ بِذَلِكَ، ازْدَادَ غَضَبُهُ. وَهَذَا عَالِبًا مَا يَحْدُثُ لِلْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يُحَاوِلُونَ إِيَّاهُمَا الْآخَرِينَ. فُهُمْ يَغْضِبُونَ مِنَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يُحَاوِلُونَ إِيَّاهُمَا. وَعِنْدَمَا اضْطَرَّ بلاكي فِي النَّهَايَةِ إِلَى أَنْ يُقْرَرَ لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ التَّفَكِيرَ فِي طَرِيقَةٍ

أُخْرَى لِلْحُصُولِ عَلَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، بَدَأَ فِي التَّسَائِلِ عَمَّا إِذَا كَانَ ثَمَةَ طَرِيقَةٌ لِإِيقَاعِ السَّيِّدِ وَالسَّيِّدَةِ هوتي فِي الْمَتَاعِبِ. وَحِينَهَا فَكَرَّ فِي ابْنِ الْمُزَارِعِ براون.

بَرَقْتُ عَيْنَا بلاكي؛ إِذْ تَذَكَّرَ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون كَانَ فِي الْمَاضِ يَسْعُدُ بِسَرِقةِ أَعْشَاشِ الطَّيُورِ. فَقَدْ رَأَاهُ بلاكي يَأْخُذُ الْبَيْضَ مِنْ أَعْشَاشِ أَقْارِبِ بلاكي نَفْسِهِ وَمِنْ أَعْشَاشِ كَثِيرٍ مِنَ الطَّيُورِ الْأُخْرَى. لَمْ يَكُنْ لَدِي بلاكي أَيْةٌ فِكْرَةٌ عَمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ بِالْبَيْضِ، وَلَمْ يَهْتَمْ بِذَلِكَ آنذاكَ. فَإِذَا اكْتَشَفَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون عُشَّ هوتي مُصَادَفَةً، فَمِنَ الْمُؤْكَدِ أَنَّهُ سَيَأْخُذُ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، وَحِينَهَا يَرْتَاحُ بلاكي إِلَى حَدٍّ مَا. فَسَوْفَ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ نَالَ انتِقامَةً مِنْ هوتي.

عَلَى الْفُورِ بَدَأَ بلاكي التَّفَكِيرَ فِي طَرِيقَةٍ يَسْتَدِرُجُ بِهَا ابْنَ الْمُزَارِعِ براون إِلَى ذَلِكَ الرُّكِنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ حَيْثُ يَقْعُ عُشُّ هوتي. وَإِذَا اسْتَطَاعَ اجْتِنَابَهُ إِلَى هُنَاكَ، فَإِنَّهُ مُتَأْكِدٌ مِنْ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون سَوْفَ يَرَى الْعُشَّ وَيَسْلُقُ الشَّجَرَةَ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهِ، وَعِنْدَهَا سَيَأْخُذُ الْبَيْضَتَيْنِ بِلَا شَكٍّ. فَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ بلاكي أَنْ يَأْخُذُ الْبَيْضَتَيْنِ لِنَفْسِهِ، فَإِنَّ أَفْضَلَ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ هُوَ أَنْ يَرَى أَحَدًا غَيْرَهُ يَأْخُذُهُمَا.

يَا إِلَهِي ! يَا لَهَا مِنْ أَفْكَارِ بَغِيَّةِ ! أَخْشَى أَنْ قَلْبَ بلاكي أَسْوَدُ كَلْوَنِ رِيشِهِ، وَالْأَسْوَأُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَجُدُّ مُتَعَّهَّ كِبِيرًا فِي تَفْعِيدِ خُطْطِهِ الشَّرِيرَةِ. وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ يَعِي تَمَامًا فِي قَرَارِهِ نَفْسِهِ أَنَّهَا خُطْطُ شَرِيرَةٍ، فَقَدْ حَاوَلَ اخْتِلَاقَ الْأَعْذَارَ لِنَفْسِهِ.

فَقَالَ لِنَفْسِهِ : « إِنَّ هوتي لِصُّ، وَالْجَمِيعُ يَخَافُونَهُ، فَهُوَ يَعْنَاتُ عَلَى الْآخَرِينَ. وَعَلَى حَدٌّ عِلْمِي ، فَإِنَّهُ لَا يَفْعَلُ أَيْ خَيْرٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ. وَهُوَ ضَخْمٌ وَشَرِسٌ وَلَا أَحَدٌ يُحْبُّهُ. وَسَتَكُونُ الْغَابَةُ الْخَضْرَاءُ مَكَانًا أَفْضَلَ مِنْ دُونِهِ. وَإِذَا فُقِسَتْ هَاتَانِ الْبَيْضَتَانِ، فَسَتُخْرَجَانِ بُومَتَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ تَحْتَاجَانِ إِلَى الطَّعَامِ، وَسَوْفَ تَكْبُرَانِ لِتُصْبِحَا بُومَتَيْنِ ضَحْمَتَيْنِ، مِثْلُ أُمُّهَما وَأَبِيهِمَا. فَإِذَا أَرَيْتُ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون هَذَا الْعُشَّ وَأَخَذُ الْبَيْضَتَيْنِ، فَسَأَكُونُ قَدْ فَعَلْتُ خَيْرًا بِحِيرَانِي . »

هَكَذَا حَدَّثَ بلاكي نَفْسَهُ وَحَاوَلَ إِسْكَاتِ الصَّوْتِ الْخَافِتِ الصَّغِيرِ دَاخِلَهُ الَّذِي حَاوَلَ أَنْ يُخْبِرَهُ أَنَّ مَا يُخْطَلُ لَهُ أَمْرٌ بَغِيَّضٌ حَقًّا. وَظَلَّ طَوَالِ الْوَقْتِ يَرْتَقِبُ قُدُومَ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون.

الفصل العاشر

ابن المزارع براون وهو تي

كان ابن المزارع براون قد قرر زيارة الغابة الخضراء. جزء من السبب في ذلك كان أنه لم يكن لديه شيء آخر يفعله، والجزء الآخر كان أن الشتاء كان قد شارف على الانتهاء وأراد أن يتفقد أحوال الغابة، ويرى ما إذا كان ثمة ما يدل على افتراض قدول الربيع. رأه الغراب بلاكي قادما، وضحك في نفسه؛ فقد كان يتربّع حدوث ذلك كل يوم طوال أسبوع. وصار بإمكانه أن يخبر ابن المزارع براون بشأن عش هوتي.

طار بلاكي إلى الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ؛ حيثُ بَنَى السَّيِّدُ وَالسَّيِّدَةُ هوتي عُشَّهُما، وَبَدَا يَنْعِقُ فَوْرًا بِأَعْلَى صُوتِهِ مُتَظاهِرًا بِأَنَّهُ مُتَحَمِّسٌ لِلْغَايَا لِإِكْشافِهِ شَيْئًا مَا. صاح بلاكي: «كاو! كاو! كاو!» وفي التو أسرع إليه كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ أَقْارِبِهِ. فقد عرفوا أنه كان يزعج هوتي وأرادوا مشاركته اللهو. وسرعان ما ثارت ضجة كبيرة في ذلك الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ.

بالطبع سمع ابن المزارع براون هذه الضجة، فتوقف وأنصت، وقال: «يا ترى ماذا وجد بلاكي وأصدقاؤه هذه المرأة؟ عندما يصدرون ضحيجاً من ذلك القبيل، عادةً ما يكون ثمة أمرٌ يستحق المشاهدة. أعتقد أنني سأذهب وألقي نظرة».

فتوجه نحو الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وإن راح يتدوّن، تحرّك بحدّر شديد لكي يرى أكثر ما يستطيع رؤيتها دون إخافة الغربان؛ فقد كان يعلم أنهم مجرّد أن يروه سوف يطيرون بعيداً، وذلك ربما يتبّع الطائير الذي يزعجهونه، فهو يعلم جيداً طبع

الْغِرْبَانِ، حَتَّىٰ إِنَّهُ صَارَ يَعْرِفُ أَنَّهُمْ حِينَمَا يُحِدِّثُونَ مِثْلَ ذَلِكَ الصَّحِيجِ، فَإِنَّهُمْ يُزَعِّجُونَ أَحَدَهُمْ.

كَانَ بِلَاكِي أَوْلَىٰ مَنْ رَأَاهُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَرْتَقِبُ قُدُومَهُ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْبِسْ بِبَنْتِ شَفَةٍ حَتَّىٰ دَنَا ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراونَ كَثِيرًا إِلَى أَنْ لَمْ يَعُدْ ثَمَةً مَفْرُّ مِنْ أَنْ يَرَى ذَلِكَ الْعُشَّ وَهُوتِي نَفْسُهُ، الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ مُنْتَصِبًا وَيُطْقُطِقُ بِمِنْقَارِهِ غَصْبًا مِنْ مُزْعِجِيهِ. بَعْدَ ذَلِكَ أَطْلَقَ بِلَاكِي الْإِنْدَارَ، وَعَلَى الْفَوْرِ طَارَتْ كُلُّ الْغِرْبَانِ لِأَعْلَىٰ وَتَوَجَّهَتْ نَحْوَ الْمُرْوُجِ الْخَضْرَاءِ، مُطْلِقَةً عَقِيرَتَهَا بِالنَّعِيقِ. ذَهَبَ بِلَاكِي مَعَهُمْ لِمَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ، وَفِي أَوْلَىٰ فُرْصَاتِهِ لَاحَتْ لَهُ انْفَصَلَ عَنِ السُّرُّبِ وَطَارَ عَائِدًا فِي هُدُوءٍ إِلَى مَكَانٍ يَسْتَطِيعُ مِنْهُ أَنْ يَرَى كُلَّ مَا قَدْ يَحْدُثُ عِنْدَ عُشٍّ هُوتِي.

عِنْدَمَا وَقَعَتْ عَيْنَا ابْنِ الْمُزَارِعِ بِراونَ عَلَى الْعُشِّ وَرَأَى الْغِرْبَانَ تَنْقَضُ عَلَيْهِ وَقَدْ بَدَثْ عَلَيْهَا الإِثَارَةُ، شَعَرَ بِالْحَيْرَةِ.

فَكَرَّ قَائِلًا: «هَذَا عُشٌ قَدِيمٌ لِلصَّقْرِ أَحْمَرِ الذِيلِ. لَقَدْ وَجَدْتُهُ فِي الرِّبِيعِ الْمَاضِيِّ، فَمَا الَّذِي قَدْ يُثِيرُ الْغِرْبَانَ فِيهِ إِلَى هَذَا الْحَدَّ؟»

ثُمَّ رَأَى ذَكَرَ الْبُوْمَةِ هُوتِي، فَهَتَّفَ قَائِلًا: «آهٌ! هَكَذَا إِذْنُ. لَقَدْ عَثَرَ هُؤُلَاءِ الْأَوْغَادِ عَلَى هُوتِي وَمَا انْفَكُوا يُصَابِقُونَهُ. تُرَى مَا الَّذِي يَفْعَلُهُ هُنَاكَ؟»

لَمْ يَعُدْ يُحَاوِلِ الْإِخْبَاءِ، وَإِنَّمَا سَارَ إِلَى أَسْفَلِ الشَّجَرَةِ مُبَاشِرًا، نَاظِرًا لِأَعْلَىٰ طَوَالِ الْوَقْتِ. فَرَأَهُ هُوتِي وَلَكِنَّهُ عَوْضًا عَنْ أَنْ يُحَلِّقَ بَعِيدًا، رَاحَ يُطْقُطِقُ بِمِنْقَارِهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ مَعَ الْغِرْبَانِ وَيُصْدِرُ فَحِيحًا.

فَكَرَّ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراونَ قَائِلًا: «هَذَا غَرِيبٌ. لَوْ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْعُشَّ هُوَ الْعُشُّ الْقَدِيمُ لِلصَّقْرِ أَحْمَرِ الذِيلِ، وَلَوْ لَمْ نَكُنْ مَا زِلْنَا فِي نِهَايَةِ الشَّتَاءِ، لَكُنْتُ ظَنَنتُ أَنَّ هَذَا هُوَ عُشٌ هُوتِي.»

دَارَ الصَّبِيُّ حَوْلَ الشَّجَرَةِ وَهُوَ يَنْتَرُ لِأَعْلَىٰ. وَفَجَأًةً انْتَفَضَ دَهْشَةً. هُلْ هَذَا ذَيْلٌ يَبْرُزُ مِنْ حَافَةِ الْعُشِّ؟ فَأَمْسَكَ بِعَصَمِهِ وَأَلْقَاهَا لِأَعْلَىٰ، فَضَرَبَتْ قَاعِدَةَ الْعُشِّ، وَطَارَ مِنْهُ طَائِرٌ ضَخْمٌ. كَانَ هَذَا الطَّائِرُ هُوَ السَّيِّدَةُ هُوتِي! فَضَحِكَ الْغُرَابُ بِلَاكِي فِي سِرِّهِ.

الفصل الحادي عشر

ابن المزارع براون يتعرض للإغراء

عندما يُعطيك الخطأ

يَحِينْ وَقْتُ قُوَّتَكَ.

أَغْمِضْ عَيْنِيْكَ وَاقْبِضْ يَدِيْكَ؛

تَجِدْ عَوْنَا عَلَى رَغْبَتِكَ.

عندما يكون الطائر راقداً في عُش، فهذه علامة مُؤكدة على أن العُش به شيء قيم. إنها علامة على أن الطائر تَخَذُه مُنْزلاً؛ لذا، عندما رأى ابن المزارع براون السيدة هوتي ترقد في العُش القديم للصقر أحمر الذيل في الرُّكْن المهجور من الغابة الخضراء، عَلِمَ ما يعنيه ذلك. ربما يجدُر بي أن أقول إنه عَلِمَ مَا يَنْبَغِي أن يَعْنِيه ذلك. فَيَنْبَغِي أن يعني ذلك وجود بَيْضٍ في العُش.

لكن كان من الصعب على ابن المزارع براون أن يُصدق ذلك؛ فالربيع لم يأت بعد! وكانت التلوج لا تزال في كل مكان، ولا تزال البركة الباسمة مُغطاة بالجليد. من سمع بطائر يَضُع بيضًا في هذا الوقت من العام؟ بالتأكيد ليس ابن المزارع براون. إلا أن السيدة والسيدة هوتي كانوا يتصرّفان تماماً مثلماً تَصَرَّفَ الطُّيُورُ كُلُّها عندما يكون لديها بيض تخاف عليه. كان الأمر مُحِيرًا للغاية.

تمَّ ابن المزارع براون لنفسه بينما كان يُحدِّق لأسفل نحو العُش: «الصقر أحمر الذيل هو من بنى هذا العُش وإن أحداً لم يُصلِّحْه حتَّى. وإذا كان هوتي وزوجته قد اتَّخَذَاه مُنْزلاً، فإنَّهما لا يَعْرِفان شيئاً عن بناء الأعشاش. وإذا كانت السيدة هوتي قد

وَضَعَتْ بَيْضًا فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ، فَلَا بُدَّ أَنَّهَا مَجْنُونَةُ. أَعْتَقْدُ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ إِلَّا بِتَسْلُقِ الشَّجَرَةِ، إِنَّهَا تَبَدُّو حَماقةً، وَلَكِنَّنِي سَأَفْعُلُهَا، إِنَّ زُوجَ الْبُومِ ذَاكَ يَتَصَرَّفُ بِالْتَّأْكِيدِ كَمَا لَوْ كَانَ شَدِيدَ الْفَلَقِ عَلَى شَيْءٍ مَا، وَسَوْفَ اكْتَشِفُ هَذَا الشَّيْءَ..»

نَظَرَ إِلَى السَّيِّدِ وَالسَّيِّدَةِ هوَتِي، وَإِلَى مِنْقَارِيهِمَا الْمَعْقُوفَيْنِ وَمَخَالِيْهِمَا الْعَظِيمَةِ، وَقَرَرَ أَنْ يَأْخُذَ مَعْهُ عَصَاصًا غَلِيظَةً؛ فَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَرْغُبُ فِي الْوُقُوعِ بَيْنَ تِلْكَ الْمَخَالِبِ. وَعِنْدَمَا وَجَدَ عَصَاصًا تُنَاسِبُهُ، بَدَأَ فِي تَسْلُقِ الشَّجَرَةِ. طَقْطَقَ السَّيِّدُ وَالسَّيِّدَةُ هوَتِي بِمِنْقَارِيهِمَا وَأَصْدَرَا فَحِيَّا شَرِسًا، وَاقْتَرَبَا مِنْهُ. ظَلَّ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراوِنِ يُرَايِبُهُمَا. بَدَوَا ضَحْمِينِ وَشَرِسِينِ لِلْغَایِةِ، حَتَّى إِنَّهُ كَادَ يَسْتَسْلِمُ وَيَتَرْكُهُمَا فِي سَلَامٍ. وَلَكِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَكْتَشِفَ مَا إِذَا كَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ فِي الْعُشِّ؛ لِذَلِكَ وَاصَّلَ التَّسْلُقَ. وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ مِنَ الْعُشِّ، قَفَزَتِ السَّيِّدَةُ هوَتِي بِالْقُرْبِ مِنْهُ، وَطَقْطَقَتْ بِمِنْقَارِهَا مُصْدِرَةً صَوْتًا رَهِيبًا. فَأَمْسَكَ بِعَصَاهُ وَاسْتَعَدَ لِلضَّرِبِ بِهَا وَوَاصَّلَ صُعُودَهُ.

كَانَ الْعُشُّ عِبَارَةً عَنْ هَيْكَلِ ضَحْمٍ يَتَكَوَّنُ مِنَ الْعَصِيِّ. وَعِنْدَمَا بَلَغَهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراوِنِ، اكْتَشَفَ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِلَّ إِلَى مَكَانٍ يَنْظُرُ مِنْهُ إِلَى دَاخِلِ الْعُشِّ؛ لِذَلِكَ مَدَ يَدُهُ لِأَعْلَى وَتَحْسَسَ مَا بِدَاخِلِهِ. وَعَلَى الْفَوْرِ تَقْرِيْبًا لَمَسَتْ أَصَابِعُهُ شَيْئًا اقْشَعَرَ لَهُ بَدْنَهُ. كَانَ هَذَا الشَّيْءُ بَيْضًا، بَيْضَهُ ضَخْمَةٌ كِبِيرَةً! لَمْ يَكُنْ ثَمَةٌ شَكُّ فِي ذَلِكَ. وَقَدْ وَجَدَ صُعُوبَةً فِي تَصْدِيقِ ذَلِكِ مِثْلَمَا حَدَثَ لِبِلَاكِي عِنْدَمَا رَأَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ. قَبَصَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراوِنَ عَلَى الْبَيْضَةِ وَأَخْرَجَهَا مِنَ الْعُشِّ. قَفَزَتِ السَّيِّدَةُ هوَتِي قَرِيبًا جِدًا مِنْهُ، وَكَادَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراوِنِ يُسْقِطُ الْبَيْضَةَ مِنْ يَدِهِ إِذْ لَوَحَ بِعَصَاهُ فِي وَجْهِ السَّيِّدَةِ هوَتِي. وَحِينَهَا بَدَا أَنَّ السَّيِّدَ وَالسَّيِّدَةَ هوَتِي فَقَدَا شَجَاعَتَهُمَا وَانْسَحَبَا إِلَى شَجَرَةِ قَرِيبَةٍ، حَيْثُ وَقَفَا يُطْقَطِقَانِ بِمِنْقَارِيهِمَا وَيُطْلِقَانِ فَحِيَّهُمَا الْغَاضِبَ.

حِينَهَا نَظَرَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراوِنِ إِلَى الْغَنِيمَةِ الَّتِي كَانَ مُمْسِكًا بِهَا فِي يَدِهِ. كَانَتْ بَيْضَةً كِبِيرَةً لَوْنُهَا أَبْيَضُ ضَارِبٌ إِلَى الصُّفْرَةِ. فَلَمَعَتْ عَيْنَاهُ. يَا لَهَا مِنْ غَنِيمَةِ رَائِعَةٍ يُضَيِّفُهَا إِلَى مَجْمُوعَتِهِ مِنْ بَيْضِ الطُّيُورِ! كَانَتْ أَوَّلَ بَيْضَةً بُومَةٍ قَرْنَاءَ – أَكْبَرُ أَنْوَاعِ الْبُومِ – يَرَاها فِي حَيَاتِهِ.

تَحَسَّسَ الْعَشَّ مِنْ دَاخِلِهِ مَرَّةً أُخْرَى وَاكْتَشَفَ وُجُودَ بَيْضَةٍ أُخْرَى، فَقَالَ: «سَوْفَ أَخُذُ كُلَّنَا الْبَيْضَتَيْنِ». إِنَّهُ أَوَّلُ عَشَّ أَغْنَرُ عَلَيْهِ لِهُوتِي، وَرُبَّمَا لَا أَجِدُ عُشًا آخَرَ مَا حَيَّتُ. يَا إِلَهِي! كَمْ أَنَا سَعِيدٌ بِمَحِيَّيٍ إِلَى هُنَا لِمَعْرِفَةِ سَبِّ الْجَلَبَةِ الَّتِي أَثَارَتْهَا تِلْكَ الْغُرْبَانُ. تُرَى هَلْ سَأَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْزِلَ بِهِمَا دُونَ أَنْ أَكْبِرَهُمَا؟»
وَفِي هَذِهِ الْلَّحْظَةِ تَذَكَّرُ أَمْرًا؛ تَذَكَّرُ أَنَّهُ قَدْ تَوَقَّفَ عَنْ جَمْعِ الْبَيْضِ، وَتَذَكَّرُ أَنَّهُ قَرَرَ
اللَّهُ أَنْ يَأْخُذَ بَيْضَةً طَائِرَ مَرَّةً أُخْرَى.
هَمَسَ الشَّيْطَانُ الصَّغِيرُ بِدَاخِلِهِ: «وَلَكِنَّ هَذَا مُخْتَلِفٌ. لَيْسَ هَذَا كَأْخِذُ الْبَيْضِ مِنَ
الْطَّيْورِ الْمُعَرَّدِ الْصَّغِيرَةِ..».

الفصل الثاني عشر

مَعْرَكَةُ أَعْلَى شَجَرَةٍ

الْفَرْقُ بَيْنَ الْخَطَا وَالصَّوَابِ،
كَالْفَرْقِ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

لَيْسَ ثَمَةَ شَيْءٌ فِي الْمُنْتَصَفِ؛ فَإِنَّمَا أَنَّ الشَّيْءَ خَطَا وَإِنَّمَا أَنَّهُ صَوَابٌ، وَهَذِهِ هِيَ كُلُّ الْخِيَارَاتِ الْمُتَاحَةِ. وَلَكِنَّ مُعْظَمَ النَّاسِ يَجِدُونَ صُعُوبَةً كَبِيرَةً فِي إِذْرَاكِ ذَلِكَ عِنْدَمَا تَشَدُّ رَغْبَتُهُمْ فِي شَيْءٍ يُخْبِرُهُمْ صَوْتُ مَا زَالَ حَافِتًا بِدَاخِلِهِمْ أَنَّهُ خَطَا. فَيُحَاوِلُونَ أَنْ يَصْلُوا إِلَى حَلٍّ وَسَطٍ. وَالْحَلُّ الْوَسْطُ يَكُونُ بِالْأَنْتَفَعَلَ هَذَا الشَّيْءُ أَوْ ذَاكَ، وَلَكِنْ بَعْضًا مِنْ هَذَا وَبَعْضًا مِنْ ذَاكَ. وَلَكِنَّكَ لَا تَسْتَطِعُ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ فِي حَالَةِ الصَّوَابِ وَالْخَطَا. إِنَّهُ أَمْرٌ غَرِيبٌ، وَلَكِنَّ نِصْفَ الصَّوَابِ لَا يَرْقَى أَبَدًا لِمُسْتَوَى الصَّوَابِ الْكَامِلِ، بَيْنَمَا نِصْفُ الْخَطَا غَالِبًا — فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ — مَا يَكُونُ بِمِثْلِ سُوءِ الْخَطَا الْكَامِلِ.

كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراونِ — إِذَا عَتَّى الشَّجَرَةَ بِجَوَارِ عُشٍّ هُوتِي فِي الرُّكْنِ الْمُهُجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ — يَخْوُضُ مَعْرَكَةً. لَا، لَمْ يَكُنْ يَتَعَارَكُ مَعَ السَّيِّدِ هُوتِي أَوِ السَّيِّدَةِ هُوتِي، وَإِنَّمَا كَانَتِ الْمَعْرَكَةُ دَائِرَةً فِي دَاخِلِهِ. كَانَتْ مَعْرَكَةً بَيْنَ الصَّوَابِ وَالْخَطَا؛ فَفِي الْمَاضِي كَانَ يَجِدُ سَعَادَةً بِالْغَةِ فِي جَمْعِ بَيْضِ الطُّيُورِ، مُحاوِلًا مَعْرَفَةً كَمْ مِنَ الْأَنْواعِ الْمُخْتَلِفَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَحْصُلَ عَلَيْهِ. وَلَكِنْ عِنْدَمَا ازْدَادَتْ مَعْرِفَتُهُ بِسُكَّانِ الْغَابَةِ وَالْمُرْوُجِ الصَّفَارِ، أَدْرَكَ أَنَّ أَخْدَ بَيْضِ الطُّيُورِ خَطَا لَا يُغْنِفُ، وَتَوَقَّفَ عَنْ سِرْقَتِهِ. وَتَعَهَّدَ بِالْيَسْرِقِ بَيْضَةً مِنْ طَائِرٍ ثَانِيَّةً.

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ عَثَرَ مِنْ قَبْلُ عَلَى عُشٍ لِلْبُومَةِ هوتي. فَكَانَتْ هَاتَانِ الْبَيْضَاتَانِ سَتُمْتَلَانِ إِضَافَةً عَظِيمَةً إِلَى مَجْمُوعَتِهِ. قَالَ لَهُ الصَّوْتُ الْخَافِتُ فِي دَاخِلِهِ: «خُذُّهُمَا! إِنَّهُوتي لِصُّ، إِنَّكَ سَتُسْدِي إِلَى الطَّيْورِ الْأُخْرَى مَعْرُوفًا بِأَخْدِ الْبَيْضَاتِينِ». وَقَالَ صَوْتُ خَافِتُ آخَرُ: «لَا تَفْعَلْ ذَلِكَ. رُبَّمَا كَانَ هَوْتِي لِصًا، وَلَكِنَّ لَهُ دَوْرًا فِي الْغَابَةِ الْحَضْرَاءِ، وَإِلَّا فَمَا كَانَتِ الطَّبِيعَةُ الْأُمُّ الْعَجُوزُ لِتَضَعُهُ هُنَّا. وَسَرْقَةُ بَيْضَتِهِ لَا تَفْرُقُ شَيْئًا عَنْ سَرْقَةِ بَيْضَةِ أَيِّ طَائِرٍ آخَرَ، وَلَهُ حَقُّ الاحْتِفَاظِ بِبَيْضَتِهِ مِثْلَ حَقِّ النَّمِيمَةِ جِينِي فِي الاحْتِفَاظِ بِبَيْضَهَا».

قَالَ الصَّوْتُ الْأَوَّلُ: «خُذْ وَاحِدَةً وَاتْرُكِ الْأُخْرَى».

فَرَدَ الصَّوْتُ الثَّانِي: «سَرْقَةُ وَاحِدَةٍ كَسْرَقَةِ الْإِثْنَتَيْنِ. وَعِلَوَةُ عَلَى ذَلِكَ، سَوْفَ تُخَلِّفُ عَهْدَكَ؛ فَإِنْتَ قُلْتَ إِنَّكَ لَنْ تَأْخُذْ بَيْضَةً أَخْرَى أَبَدًا». قَالَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراونِ بِصَوْتٍ عَالٍ: «أَنَا لَمْ أَعْدُ أَحَدًا سِوَايَ». وَعَلَى وَقْعِ صَوْتِهِ، طَقْطَقَ السَّيِّدُ وَالسَّيِّدَةُ هوتي – الْجَالِسَانِ عَلَى الشَّجَرَةِ الْمُجَاوِرَةِ – بِمِنْقَارِيهِمَا وَأَطْلَقَا فَحِيحًا أَعْلَى مِنْ ذِي قِبْلَةِ.

قَالَ الصَّوْتُ الْخَافِتُ الصَّالِحُ: «إِنَّ قَطْعَ الْوَعْدِ لِنَفْسِكَ مِثْلُ قَطْعِ الْوَعْدِ لِأَيِّ شَخْصٍ آخَرَ، وَلَا عَجَبٌ فِي اسْتِهْجَانِ هَوْتِي».

قَالَ الصَّوْتُ الْخَافِتُ الْأَوَّلُ: «فَكَرْ كُمْ سَتَبْدُو هَاتَانِ الْبَيْضَاتَانِ جَمِيلَتِينِ وَسُطْمَاجْمُوعَتِكَ، وَكُمْ سَتَفْخُرُ بِعَرْضِهِمَا عَلَى الْأَوْلَادِ الْأُخْرَيِّينِ الَّذِينَ لَمْ يَعْثِرُوا مِنْ قَبْلُ عَلَى عُشٍ لِهَوْتِي».

أَضَافَ الصَّوْتُ الْخَافِتُ الصَّالِحُ قَائِلًا: «وَفَكَرْ كُمْ سَتَشْعُرُ بِالْوَضَاعَةِ وَالدَّنَاءَةِ وَالْحَقَارَةِ كُلَّمَا نَظَرْتَ إِلَيْهِمَا. سَوْفَ تَكُونُ مُتَعْنُكَ أَكْبَرْ بِكَثِيرٍ إِذَا تَرَكْتُهُمَا تُفْقَسَانِ ثُمَّ رَاقِبَتِ الْبُومَتَيْنِ الصَّغِيرَتَيْنِ تَكُبْرَانِ وَتَتَعَلَّمَانِ طُرْقَ عَيْشِهِمَا. فَكَرْ فَحَسْبُ فِي مَدَى شَجَاعَةِ هوتي وَجُرْأَتِهِ بِتَأْسِيسِهِ أَسْرَةً فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ، وَكُمْ هُوَ رَائِعٌ أَنْ تَسْتَطِعَ السَّيِّدَةُ هوتي إِبْقاءِ هَاتَانِ الْبَيْضَاتَيْنِ دَافِئَتِينِ وَالْعِنَاءَيَةِ بِالْبُومَتَيْنِ الصَّغِيرَتَيْنِ عِنْدَمَا تُفْقَسَانِ، قَبْلَ أَنْ يَبْدُأَ الْأَخْرُونَ فِي بَنَاءِ أَعْشَاشِهِمْ مِنَ الْأَسَاسِ. هَذَا إِلَى جَانِبِ أَنَّ الْخَطَا وَالصَّوَابَ صَوَابُ دَائِمًا».

مَعْرِكَةُ أَعْلَى شَجَرَةٍ

مَدَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِرَاوِنْ يَدَهُ لِأَعْلَى فَوْقَ حَافَةِ الْعُشِّ بِبُطْءٍ وَأَعْادَ الْبَيْضَةَ، ثُمَّ بَدَأَ فِي النُّزُولِ مِنْ عَلَى الشَّجَرَةِ. وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى الْأَرْضِ، ابْتَعَدَ قَلِيلًا وَوَقَفَ فُرَاقِبُ الْعُشِّ. وَعَلَى الْفَوْرِ طَارَتِ السَّيِّدَةُ هُوتِي إِلَى الْعُشِّ وَرَقَدَتْ عَلَى الْبَيْضَتَيْنِ، بَيْنَمَا جَلَسَ السَّيِّدُ هُوتِي قَرِيبًا مِنْهَا لِحِرَاسَتِهَا.

قَالَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِرَاوِنْ: «أَنَا سَعِيدٌ لِأَنِّي لَمْ أَخُذْهُمَا. أَجْلُ أَنَا سَعِيدٌ.»
وَإِذَا سَتَّدَارَ عَائِدًا أَدْرَاجَهُ إِلَى الْمَنْزِلِ، رَأَى الْغُرَابَ بِلَاكِي مُحَلِّقًا فَوْقَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ.
وَلَمْ يَكُنْ لِيُخْمَنْ أَنَّهُ أَفْسَدَ خُطَطَ بِلَاكِي.

الفصل الثالث عشر

بلاكي يغير رأيه

لم يكن قلب الغراب بلاكي أسود بالكامل. نعم، بالفعل، إن ريشه أسود وأحياناً يبدوا كان قلبه أسود تماماً، ولكن ليس كذلك. بدا قلبه أسود تماماً بالتأكيد عندما حاول جاهداً إيقاع السيّد هوتي في المتأعب. ربما يبدوا أن القلب الأسود هو وحده ما يَدْفعه إلى محاولة سرقة بيضتي السيّد والسيّدة هوتي جاهداً، ولكن الأمر ليس كذلك في الحقيقة. إن محاولة الحصول على هاتين البيضتين لم تبد خاطئة على الإطلاق؛ فبلاكي كان جائعاً، وكانت هاتان البيضتان تمثلان وجبة شهية له. وهو كان يعلم أن هوتي لن يتزدد في الإمساك به وأنكله لو أتيحت له الفرصة؛ ولذا بذلت له سرقة البيضتين أمراً صائباً ومنصفاً تماماً إن كان ذكياً بما يكفي لفعله. وكان معظم سكان الغابة الخضراء والمروج الخضراء الصغار سيشاركونه الشعور. فأخذ قوانين الطبيعة الامر العجوز يتمثل في ضرورة أن يتغذى المرء أن يرعى مصالحة.

ولكن عندما دلّ بلاكي ابن المزارع براون على مكان عُش هوتي آملاً في أن يسرق ابن المزارع براون هاتين البيضتين، كان قلبه يشوبه السواد. حينها كان تصرفه دنيئاً بكل ما في الكلمة من معانٍ. فكل ما كان يحاوله هو أن يُوقع هوتي في المتأعب لكي ينتقم منه؛ لأنّ هوتي كان أذكى منه. وقد جلس أعلى شجرة صنوبر يشاهده كلّ ما يدور، وراح يضحك بمكرٍ عندما تسلّق ابن المزارع براون الشجرة حتى وصل إلى عُش هوتي وأخذ منه البيضة. كان متاكداً من أنه سيأخذ البيضتين. أو أنه كان يتمنى ذلك على أهيّ حالٍ.

وَعِنْدَمَا رَأَى ابْنَ الْمُزَارِعِ بِراونِ يُعِيدُ الْبَيْضَتَيْنِ وَيَنْذِلُ عَنِ الشَّجَرَةِ دُونَ أَنْ يَأْخُذَ أَيًّا مِنْهُمَا، كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْرُفَ بِعَيْنِيهِ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ صِحَّةِ مَا يَرَاهُ. فَهُوَ لَمْ يُسْتَطِعْ أَنْ يُصَدِّقَ مَا رَأَهُ فِي الْبِدَايَةِ شَعْرَ بِإِحْبَاطٍ وَغَضَبٍ شَدِيدَيْنِ؛ فَقَدْ بَدَا وَاضِحًا لِلْغَايَةِ أَنَّهُ لَنْ يَنْتَقِمَ مِنْ هُوتِي فِي نِهايَةِ الْأَمْرِ. طَارَ بِلَاكِي إِلَى شَجَرَتِهِ الْمُفَضَّلَةِ لِيَنْفَكُّ فِي الْأَمْرِ. وَاحْيَانًا يَكُونُ مِنَ الْمُفَيِّدِ أَنْ يَجْلِسَ الْمَرْءُ بِمُقْرِبِهِ لِيَنْفَكُّ فِي الْأَمْرِ؛ فَذَلِكَ يَمْنَحُهُ فُرْصَةً لِسَمَاعِ الصَّوْتِ الْخَافِتِ بِدَاخِلِهِ. وَهَذَا هُوَ مَا حَدَثَ مَعَ بِلَاكِي آنَّذَا.

وَكُلُّمَا طَالَ تَفْكِيرُهُ فِي الْأَمْرِ، بَدَا لَهُ اسْتِدْعَاوُهُ لِابْنِ الْمُزَارِعِ بِراونِ أَكْثَرَ دَنَاءَةً؛ فَإِنَّ مُحاوَلَةَ سَرِقةِ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ لِنَفْسِهِ أَمْرٌ، وَمُحاوَلَةَ جَعْلِ شَخْصٍ آخَرَ – لَا يَمْلُكُ هُوتِي بِفَاعَلًا أَمَامَهُ – يَسِّرُ قُهُمًا أَمْرًا آخَرُ.

قَالَ الصَّوْتُ الْخَافِتُ فِي دَاخِلِهِ: «لَوْ كَانَ أَيُّ طَائِرٍ آخَرَ غَيْرَ هُوتِي، لَكُنْتَ بَذَلْتَ قُصَّارَى جُهْدِكَ مِنْ أَجْلِ إِبْقاءِ ابْنِ الْمُزَارِعِ بِراونِ يَعِيدَا عَنْهُ». نَكَسَ بِلَاكِي رَأْسَهُ؛ إِذْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ صَحِيحٌ. فَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَرَاتِ حَذَرَ بِلَاكِي الطُّيُورَ الْأُخْرَى إِنْدَمَا كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراونِ يَبْحَثُ عَنْ أَعْشَاشِهَا، وَسَاعَدَ فِي إِبْعادِهِ.

فِي النِّهَايَةِ، رَفَعَ بِلَاكِي رَأْسَهُ وَصَحِلَ، وَهَذِهِ الْمَرَّةُ كَانَ لِضَحْكَتِهِ وَقُعُّ حَسَنٌ، وَقَالَ بِصَوْتٍ عَالٍ: «أَنَا سَعِيدٌ لِأَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ بِراونِ لَمْ يَأْخُذْ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ. أَجْلٌ، أَنَا سَعِيدٌ. لَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلَ مَرَّةً أُخْرَى. إِنِّي خَجِلٌ مَمَّا فَعَلْتُ، وَلِكِنِّي سَعِيدٌ بِفَعْلِهِ؛ سَعِيدٌ لِأَنِّي تَعَلَّمْتُ بَعْضَ الْأَمْوَرِ. تَعَلَّمْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ بِراونِ لَمْ يَعُدْ مُخِيفًا كَمَا كَانَ.

وَتَعَلَّمْتُ أَنَّ هُوتِي لَيْسَ غَيْرًا كَمَا اعْتَدْتُ. وَتَعَلَّمْتُ أَنَّهُ فِي حِينِ أَنَّهُ لَا يَأْسِ بِالنِّسْبَةِ لَنَا – نَحْنُ سُكَّانُ الْغَایَةِ الْخَضْرَاءِ – أَنْ يُحَاوِلَ كُلُّ مَنَا خِدَاعَ الْأَخَرِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَحْمِيَ بَعْضُنَا بَعْضًا مِنَ الْأَخْطَارِ الْمُشْتَرَكةِ. كَمَا أَنِّي تَعَلَّمْتُ شَيْئًا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ مِنْ قَبْلٍ؛ وَهُوَ أَنَّ هُوتِي هُوَ أَوَّلُ مَنْ يَيْدِأُ فِي بَنَاءِ عُشِّهِ بَيْنَنَا. أَعْتَقُدُ أَنِّي سَادَهُ الْأَنَّ لِلْبَحْثِ عَنْ طَعَامِي بِشَرَفِ». وَقَدْ فَعَلَ.

الفصل الرابع عشر

بلاكي يَقُومُ بِزِيَارَةٍ

لَا تَحْكُمْ عَلَى أَحَدٍ مِنْ مَظَاهِرِهِ؛
فَإِنَّمَا تَرَى إِقْرَارًا بِجَهْلِكَ.

الْغُرَابُ بلاكي

«كَأْوْ كَأْوْ كَأْوْ كَأْوْ». لَمْ يَكُنْ شَرْحَةٌ حَاجَةً لِلنَّظَرِ لِرُؤْيَةِ مَصْدَرِ الصَّوْتِ. عَلِمَ الْأَرْنَبُ بِيَتِ دُونَ أَنْ يَنْظُرُ، وَكَذَلِكَ عَلِمَتِ السَّيْدَةُ كواكْ دُونَ أَنْ تَنْظُرُ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ نَظَرَ كِلَاهُمَا إِلَى أَعْلَى. كَانَ الْغُرَابُ بلاكي يَنْزِلُ لِتَوَهُ مِنْ عَلَى قِمَّةِ شَجَرَةِ عَالِيَّةٍ. وَصَاحَ مُجَدَّدًا: «كَأْوْ كَأْوْ كَأْوْ كَأْوْ»، نَاظِرًا إِلَى الْأَرْنَبِ بِيَتِ وَالسَّيْدَةِ كواكِ وَالسَّيْدَةِ كواكِ وَالْبَطَاطَاتِ السَّتَّ الصَّغِيرَةِ بِالْأَسْفَلِ. وَقَالَ: «أَتَمَنِي أَلَا أَكُونَ قَدْ قَاطَعْتُ حَدِيثًا خَاصًا».

أَسْرَعَ بِيَتِ بِالرَّدِّ قَائِلًا: «مُطْلَقاً. كَانَتِ السَّيْدَةُ كواكْ تُخْبِرُنِي عَنِ الْمَتَاعِبِ وَالْأَخْطَارِ التَّاجِمَةِ عَنْ تَنْشِئَةِ الصَّغَارِ فِي الشَّمَالِ الْبَعِيدِ». كَيْفَ عَرَفَتْ أَنْ عَائِلَةَ كواكْ قَدْ وَصَلَتْ؟ «ضَحِّكَ بلاكي بِصَوْتِ أَجَشٍ، وَقَالَ: «لَمْ أَعْلَمْ». ظَنِّنْتُ بِسَبَاسَطَةٍ أَنَّ شَيْئًا مَا رُبِّمَا يَحْدُثُ هُنَّا فِي بِرْكَةِ الْفُنْدُسِ بِادي؛ لِذَلِكَ أَتَيْتُ لِأَتَبَيَّنَ الْأَمْرَ». أَنْتَ وَالسَّيْدَةُ كواكْ تَبَدُّوْنَ فِي أَفْخَلِ حَالِ هَذَا الْخَرِيفِ يَا سَيْدُ كواكْ. وَهَذِهِ الْبَطَاطَاتُ الصَّغِيرَةُ الْجَمِيلَةُ، لَا تُخْبِرُنِي أَنَّهُمْ أَطْفَالُكَ!» أَوْمَاتِ السَّيْدَةُ كواكْ بِفَخْرٍ قَائِلَةً: «نَعَمْ، إِنَّهُمْ أَطْفَالِي».

فَقَالَ بلاكي مُتَعَجِّبًا، كَمَا لَوْ كَانَ مُتَعَاجِلًا، بَيْنَمَا لَمْ يَكُنْ مُتَعَاجِلًا عَلَى الإِطْلَاقِ: «غَيْرُ مَعْقُولٍ! إِنَّهُمْ مَفْحَرَةٌ لِأَبْوَيْهِمْ. بِالْفِعْلِ، إِنَّهُمْ مَفْحَرَةٌ لِأَبْوَيْهِمْ. إِنِّي لَمْ أَرِ في حَيَاتِي أَجْمَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَطَاطَاتِ الصَّغِيرَةِ». كَمْ سَيِّسَعُ الصَّيَادُونَ دُوْنَ الْبَنَادِقِ الرَّهَبِيَّةِ بِرُؤُسِهِمْ!»

انتفَضَتِ السَّيْدَةُ كواكِ لِقُولِهِ وَرَأَى بلاكي ذَلِكَ، فَاطْلَقَ ضِحْكَةً حَافِتَةً. وَكَمَا تَعْلَمُونَ فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُشْعِرَ الْآخِرِينَ بِالاضْطِرَابِ. وَأَرْدَفَ قَائِلًا: «رَأَيْتُ ثَلَاثَةَ صَيَادِينَ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ باكِرًا هَذَا الصَّبَاحِ.»

بَدَتِ السَّيْدَةُ كواكِ شَدِيدَةَ الْفَلَقِ. وَلَاحَظَتْ عَيْنَاهُ بلاكي الثَّاقِبَتَانِ ذَلِكَ.

فَأَضَافَ بِلْطَفٍ: «هَذَا هُوَ سَبَبُ مَحِيَّيِّي إِلَى هُنَا. أَرَدْتُ أَنْ أَحْذَرَهُمَا.»

فَقَالَ بَيْتَرِ بِصُوتٍ عَالٍ: «لِكِنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ أَنَّ عَائِلَةَ كواكِ هُنَا!»

رَدَّ بلاكي وَقَدْ لَاحَ بِرِيقٍ فِي عَيْنِيهِ: «هَذَا صَحِيحٌ يَا بَيْتَر، هَذَا صَحِيحٌ. لِكِنِي طَنَنْتُ أَنَّهُ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونُوْنَا قَدْ جَاءُوْنَا. لَقَدْ وَرَدَ إِلَيَّ مَسَامِعِي أَنَّ الْأَشْخَاصَ الَّذِينَ يَذْهَبُوْنَ إِلَى الْجَنُوبِ يُسَافِرُوْنَ مُبِكِّرًا عَنِ الْمُعْتَادِ هَذَا الْخَرِيف؛ لِذَلِكَ عَلِمْتُ أَنِّي رُبَّمَا أَجِدُ السَّيْدَةَ كواكِ وَالسَّيْدَةَ كواكِ هُنَا فِي أَيِّ لَحْظَةٍ. هَلْ صَحِيحٌ أَيْتَهَا السَّيْدَةَ كواكِ أَنَّ هَذَا الشَّتَاءَ سَيَكُونُ شِتَاءً طَوِيلًا قَاسِيًّا قَارِسَ الْبُرُودَةِ؟»

رَدَّتِ السَّيْدَةُ كواكِ: «هَذَا هُوَ مَا يَقُولُهُ سُكَّانُ الشَّمَالِ الْبَعِيدِ. وَصَحِيحٌ أَنَّ صَقِيقًا بَدَأَ مُبِكِّرًا عَنِ الْمُعْتَادِ؛ وَلَهُذَا جَثَنَا هُنَا فِي هَذَا الْوَقْتِ. وَلِكِنْ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهُؤُلَاءِ الصَّيَادِينَ عِنْدَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، هَلْ تَظَنُّ أَنَّهُمْ سَيَأْتُونَ إِلَى هُنَا؟» كَانَ صَوْتُ السَّيْدَةِ كواكِ مَشْوِبًا بِنَبْرَةٍ فَلَقِّ.

أَجَابَ بلاكي بِسُرْعَةٍ: «لَا، لَنْ يَسْمَحَ لَهُمُ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراوِنِ بِذَلِكَ. أَنَا أَعْلَمُ ذَلِكَ، فَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يُرَايِبُ هُؤُلَاءِ الصَّيَادِينَ. سَتَكُونُوْنَ فِي أَمَانٍ مَا دُمْتُ هُنَا. كُمْ كَانَ الْعَالَمُ سِيُّصِّحُ رَأِيَّا لَوْ كَانَتْ كُلُّ الْمَخْلُوقَاتِ ذَاتِ السَّاقَيْنِ مِثْلُ ابْنِ الْمُزَارِعِ بِراوِنِ.»

صَاحَ بَيْتَر: «أَجَلُ! وَأَضَافَ: «أَتَمَنَّ لَوْ كَانُوا كَذَلِكَ.»

وَأَكَدَّتِ السَّيْدَةُ كواكِ ذَلِكَ بِقُولِهَا: «لَيْسَ يُقْدِرُ مَا أَتَمَنَّهُ أَنَا.»

قَالَ بلاكي: «إِلَّا أَنَّنِي أَدْكُرُهُ عِنْدَمَا كَانَ يَصْطَادُ بِبُنْدُقِيَّتِهِ الرَّهِيْبَةِ وَكَانَ مِنْ أَسْوَأِ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ ذَاتِ السَّاقَيْنِ.»

سَأَلَّتِ السَّيْدَةُ كواكِ وَقَدْ بَدَا عَلَيْهَا الْإِهْتِمَامُ: «وَمَا الَّذِي غَيَّرُهُ؟»

أَجَابَ بلاكي: «لَا شَيْءَ سَوَى أَنَّهُ وَطَدَ مَعْرِفَتَهُ بِبَعْضِ سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرْوِجِ الْخَضْرَاءِ الصَّعَابِ، وَوَجَدَ أَنَّهُمْ مُسْتَعْدُونَ تَمَامًا إِلَسْتِعْدَادِ لِمُصَادَقَتِهِ، وَأَصْبَحَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَصْدِقَائِهِ الْمُقْرَبِيْنَ فِعْلًا.»

بلاكي يُقْوِمُ بِزِيَارَةٍ

هَنَفَ بَيْتَر: «وَهُوَ الْأَنَ صَدِيقُهُمُ الْأَئْثِيرُ.
أَوْمَأْ بلاكي مُوَافِقاً وَقَالَ: «هَذَا صَحِحٌ يَا بَيْتَر. وَلِهَذَا فَإِنَّ عَائِلَةَ كَوَاكِ فِي أَمَانٍ هُنَّا
وَسُوفَ تَظَلُّ بِأَمَانٍ مَا بَقِيَتْ هُنَّا.»

الفصل الخامس عشر

بلاكي يتَفَقَّدُ الأَوْضَاعَ

لَا تُصَدِّقُ قَوْلَ الْغَيْرِ
إِنْ أَمْكَنَ أَنْ تَرَى رَأْيَ الْعَيْنِ.

الْغُرَابُ بلاكي

بلاكي غُرابٌ ذَكِيٌّ. فَهُوَ أَحَدُ أَذْكَى سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرْوِجِ الْخَضْرَاءِ الصَّغَارِ وَأَكْتَرُهُمْ فَطْنَةً، وَالْجَمِيعُ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ. وَلِهَذَا يُكْنُ لَهُ جِيرَانُهُ جَمِيعًا وَافْرَادُ الاحْتِرامِ، رَغْمَ طَبَيْعَةِ الْمُؤْذِنِي.

بِالطَّبَيْعِ لَاحَظَ بلاكي أَنَّ الْخُلْدَ جُونِي حَفَرَ مَنْزِلَهُ بِعُمْقٍ أَكْبَرَ مِنَ الْمُعْتَادِ، وَأَتَخَمَ نَفْسَهُ بِالطَّعَامِ حَتَّى صَارَ أَسْمَنَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى. وَلَاحَظَ أَنَّ فَأْرَ الْمُسْكِ جِيرِي كَانَ آخِذًا فِي جَعْلِ جُذْرَانِ مَنْزِلِهِ أَكْثَرَ سُمْكًا مِنَ الْأَعْوَامِ الْمَاضِيَّةِ، وَأَنَّ الْقُنْدُسَ بَادِي كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ نَفْسَهُ بِمَنْزِلِهِ. فَكَمَا تَعْلَمُ، عَيْنَا بلاكي الثَّاقِبَاتِ لَا يَفْوَتُهُمَا الْكَثِيرُ.

حَمَنَ بلاكي مَا يَعْنِيهِ كُلُّ ذَلِكَ، فَتَمَمَّ مُحَدِّثًا نَفْسَهُ: «إِنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الشَّتَاءَ سَيَكُونُ طَوِيلًا قَاسِيًا قَارِسَ الْبُرُودَةِ. رُبَّمَا كَانُوا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، وَلَكِنِي أَرْغَبُ فِي أَنْ أَرِي بَعْضَ الْأَدِلَّةِ عَلَى ذَلِكَ بِنَفْسِي. رُبَّمَا كَانَ ظَنُّهُمْ مُجَرَّدَ تَحْمِينٍ. يُمْكِنُ لِأَيِّ شَخْصٍ أَنْ يُحْمِنَ، وَالْتَّحْمِينَاتُ جَمِيعًا مُسَاوِيَّةٌ».

ثُمَّ وَجَدَ عَائِلَةً الْبَطْ الْبَرِّيِّ – السَّيِّدَ وَالسَّيِّدَةَ كَوَاكَ وَأَطْفَالَهُمَا – فِي بِرْكَةِ الْقُنْدِسِ بادِي، وَتَذَكَّرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَأْتُوا إِلَى الْغَابَةِ مِنْ مَنْزِلَهُمْ فِي الشَّمَالِ الْبَعِيدِ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ الْمُبْكِرِ مِنَ الْخَرِيفِ مِنْ قَبْلُ. وَأَوْضَحَتِ السَّيِّدَةُ كَوَاكَ أَنَّ صَقِيقًا قَدْ بَدَأَ بِالْفِعْلِ فِي الْجَنُوبِ؛ وَلِذَلِكَ بَدَأُوا رِحْلَتَهُمْ أَكْثَرَ مِنَ الْمُعْتَادِ حَتَّى يَسِيقُوهُ.

فَكَرَّ بِلَاكِي قَائِلًا: «يَبْدُو أَنَّهُ رَبِّمَا يُوجَدُ شَيْءٌ مِنَ الصَّدْقِ فِي فِكْرَةِ الشَّتَاءِ الطَّوِيلِ الْقَاسِي قَارِسِ الْبُرُودَةِ، لَكِنْ رَبِّمَا كَانَتْ عَائِلَةً كَوَاكَ تُخْمَنُ أَيْضًا. لَنْ أَصَدِّقَ كَلَامَهُمْ مِثْلًا لَمْ أَصَدِّقَ كَلَامَ الْخَلِدِ جُونِي أَوْ فَأْرِ الْمِسْكِ جِيرِي أَوِ الْقُنْدِسِ بادِي. سَوْفَ أَنْقَدُ الْأَوْضَاعَ.»

بَعْدَ أَنْ تَبَّأَ بِلَاكِي عَائِلَةً كَوَاكَ إِلَى أَنْ تَبَقَّى فِي بِرْكَةِ الْقُنْدِسِ بادِي إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَكُونُوا فِي مَأْمَنٍ، وَدَعَهُمْ وَحْلَقَ بَعِيدًا، وَتَوَجَّهَ مُبَاشِرًا إِلَى الْمُرْوِوجِ الْخَحْصَرَاءِ وَحَقْلِ الْذَرَةِ لَدَى الْمُزَارِعِ بِراونِ؛ فَقَلِيلٌ مِنْ تِلْكَ الْذَرَةِ الصَّفْرَاءِ كَانَ يُمْثِلُ وَجْهَةً إِفْطَارٍ لَا بَأْسَ بِهَا. عِنْدَمَا وَصَلَ بِلَاكِي إِلَى حَقْلِ الْذَرَةِ، اسْتَقَرَ فَوْقَ كَوْمَةٍ مِنَ الْذَرَةِ، كَانَتْ قَدْ قُطِعَتْ بِالْعِلْمِ وَوُضِعَتْ فِي أَكْوَامٍ؛ اسْتَعْدَادًا لِنَقْلِهَا بِالْعَرَبَةِ إِلَى مَخْزِنِ الْمُزَارِعِ بِراونِ. قَبَعَ فِي مَكَانِهِ سَاكِنًا دُونَ حَرَالِ الْحَظَّاتِ، وَلَكِنْ طِيلَةً الْوَقْتِ كَانَتْ عَيْنَاهُ الثَّاقِبَتَانِ تَتَأَكَّدَانِ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ عَدُوٍّ مُخْتَبِئٍ خَلْفَ إِحْدَى تِلْكَ الْأَكْوَامِ الْبُبِيَّةِ. وَعِنْدَمَا تَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ الْوَضْعَ آمِنٌ فَعْلًا كَمَا يَبْدُو ظَاهِرًا، انْتَقَى كُوزُ نُزْرِهِ ضَحْمًا وَبَدَأَ يُزِيلُ الْفِتْشَرَ عَنْهُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْحُبُوبِ الصَّفْرَاءِ.

قَالَ بِلَاكِي بَيْنَمَا كَانَ يُقْطِعُ الْقِشْرَ بِمِنْقَارِهِ الْحَادِ: «يَبْدُو لِي أَنَّ هَذِهِ الْقِشْرَةَ أَكْثَرُ سُمْكًا مِنَ الْمُعْتَادِ. لَا أَتَذَكَّرُ قَطُّ أَنَّنِي رَأَيْتُ قِشْرًا بِمِثْلِ هَذَا السُّمْكِ مِنْ قَبْلُ. تُرِي أَيْقَتِصُرُ هَذَا الْأَمْرُ عَلَى كُوزِ الْذَرَةِ هَذَا فَحَسْبُ؟»

حِينَهَا طَرَأَتْ عَلَى رَأْسِهِ الْأَسْوَدِ فِكْرَةُ، فَتَرَكَ هَذَا الْكُوزَ وَأَخْدَدَ غَيْرَهُ. كَانَتْ قِشْرَةُ هَذَا الْكُوزِ بِنَفْسِ سُمْكِ قِشْرَةِ الْكُوزِ السَّابِقِ. فَطَارَ إِلَى كَوْمَةٍ أُخْرَى وَوَجَدَ الْقِشْرَ بِنَفْسِ السُّمْكِ. وَانْتَقَلَ إِلَى كَوْمَةِ ثَالِثَةٍ وَوَجَدَ الْأَمْرَ نَفْسَهُ.

فَقَالَ: «آدَا! إِنَّهُمْ جَمِيعًا سَوَاءُ» ثُمَّ بَدَا أَنَّهُ عَرَقَ فِي التَّفَكِيرِ وَظَلَّ ثَابِتًا كَالْتَّمَدَلِ بِضَعْ لَحَظَاتٍ، وَقَالَ فِي النَّهَايَةِ: «إِنَّهُمْ مُحْقُونَ. أَجْلٌ، إِنَّهُمْ مُحْقُونَ». كَانَ يَعْنِي بِالْطَّبِيعِ

الْخُلْدُ جوني وَفَارِ الْمِسْكِ جيري وَالْقُنْدُسَ بادي وَعَائِلَةَ كواك. «لَا أَعْلَمُ كَيْفَ عَلِمُوا بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ مُحِقُّونَ. سَيَكُونُ هَذَا الشَّتَاءُ طَوِيلًا قَاسِيًّا قَارِسَ الْبُرُودَةِ. عَرَفْتُ ذَلِكَ بِنَفْسِي الْآنَ، فَقَدْ وَجَدْتُ دَلِيلًا عَلَيْهِ. إِنَّ الطَّبِيعَةَ الْأَمُّ الْعَجُوزَ قَدْ غَلَّفَتْ هَذِهِ الْذُرَّةَ بِقُشْرَةٍ أَكْثَرَ سُمْكًا مِنَ الْمُعْتَادِ، وَبِالظَّلَّمِ فَعَلَتْ ذَلِكَ لِتَحْمِيهَا. إِنَّهَا لَا تَتَعَلَّ شَيْئًا بِلَا سَبِّ. صِرْتُ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُ سَيَكُونُ شِتَاءً قَارِسَ الْبُرُودَةِ مِثْلًا أَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ اسْمِي.»

الفصل السادس عشر

بلاكي يجد أدلةً أخرى

حِقِيقَةُ وَاحِدَةٌ قَدْ لَا تَكْفِي لِإثْبَاتِ رَأِيكَ؛
عَضْدُهَا بِأُخْرَى فَيَقُولَى بُرْهَانُكَ.

الْغُرَابُ بلاكي

بعْدَمَا اكتَشَفَ بلاكي أَنَّ الطَّبِيعَةَ الْأَمُّ الْعَجُوزَ غَلَقَتْ كُلَّ أَكْوَافَ الدُّرَّةِ بِقُشْرِ زَائِدِ السُّمْكِ، لَمْ يَعْدْ لَدِيهِ أَيُّ شَكٌّ فِي أَنَّ الْخُلْدَ جُونِي وَفَارُ الْمِسْكِ جِيرِي وَالْقُنْدُسَ بَادِي وَعَائِلَةَ كُواكَ كَانُوا مُحِقِّينَ تَمَامًا فِي شُعُورِهِمْ بِأَنَّ الشَّتَاءَ الْقَادِمَ سَيَكُونُ طَوِيلًا وَقَاسِيًا وَقَارِسَ الْبُرُودَةِ. وَلَكِنَّ بلاكي تَعْلَمُ مُنْذُ زَمِنِ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَوِ الْأَمَانِ الْكَامِلِ أَنْ تَعْتَمِدَ كُلُّهَا عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ.

بَيْنَمَا وَقَفَ بلاكي عَلَى عَمُودٍ سِيَاجٍ فِي الْمُرْوِجِ الْخَضْرَاءِ مُفَكَّرًا فِي اكتِشافِ قُشْرَةِ الدُّرَّةِ السَّمِيَّةِ، قَالَ فِي نَفْسِهِ: «إِنَّ الطَّبِيعَةَ الْأَمُّ الْعَجُوزَ لَا تَعْلُمُ شَيْئًا غَيْرَ كَامِلٍ؛ لِذَلِكَ لَنْ تَهْتَمَ بِحِمَايَةِ الدُّرَّةِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ دُونَ أَنْ تَحْمِيَ الْأَشْيَاءَ الْأُخْرَى. لَا بُدُّ مِنْ وُجُودِ أدَلةٍ أُخْرَى، إِذَا كُنْتُ ذَكِيرًا بِمَا يَكْفِي لِاكتِشافِهَا.»

رَفَعَ بلاكي أَحَدَ جَنَاحِيهِ الْأَسْوَدَيْنِ وَبَدَأَ بِتَرتِيبِ الرِّيشِ فِيهِ. وَفَجَاهَ قَفْرَ قَفْرَةَ صَغِيرَةً مُضْحِكَةً.

وَإِذْ بَسَطَ جَنَاحِيهِ لِيَسْتَعِيدَ تَوازِنَهُ، صَاحَ قَائِلًا: «هَذَا أَمْرٌ غَيْرُ مَسْبُوقٍ! أَجلُ، غَيْرُ مَسْبُوقٍ!»

سَمِعَ صَوْنَا حَادًا رَفِيعًا يَقُولُ: «أَحَقًا؟ إِذَا قُلْتَ إِنَّهُ أَمْرٌ غَيْرُ مَسْبُوقٍ، فَهَذَا صَحِيحٌ عَلَى الْأَرْجَحِ، وَإِنْ كُنْتُ سَاحِدًا رَأَيَ شَخْصٍ آخَرَ قَبْلَ أَنْ أُصَدِّقَ مَا تَقُولُ. مَا هُوَ الْأَمْرُ غَيْرُ الْمَسْبُوقِ؟»

نَظَرَ بِلَاكِي إِلَى أَسْفَلَ، فَوَجَدَ عَيْنَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ لَامِعَتَيْنِ تَتَطَلَّعَانِ إِلَيْهِ مِنْ بَيْنِ الْعَشْبِ الْبَنِيِّ.

صَاحَ بِلَاكِي: «مَرْحَبًا يَا فَأْرَ الْمُرْوِجِ دَانِي! لَمْ أَرَكَ مُنْذَ زَمِنٍ. بَحْثُتُ عَنْكَ مَرَاتٍ عَدَّةً فِي الْأَوْنَةِ الْأُخْرَيَةِ.»

صَاحَ دَانِي: «لَا أَشْكُ فِي ذَلِكَ. لَا أَشْكُ فِي ذَلِكَ مُطْلَقاً. لَنْ تَرَانِي أَبَدًا عِنْدَمَا تَبْحَثُ عَنِّي. أَوْ إِنَّكَ لَنْ تَرَانِي لَوْ كَانَ الْأَمْرُ بِيَدِي، وَلَنْ تَرَانِي إِذَا رَأَيْتُكَ أَنَا أَوْلًا.»

ضَحِّكَ بِلَاكِي: فَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ مَا يَقْصِدُهُ دَانِي. فَعِنْدَمَا يَذْهَبُ بِلَاكِي إِلَى الْبَحْثِ عَنْ فَأْرِ الْمُرْوِجِ دَانِي، عَادَةً مَا يَكُونُ أَمْلَاً فِي تَنَاؤِلِهِ عَلَى الْعَشَاءِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ دَانِي يَعْلَمُ ذَلِكَ. فَقَالَ بِلَاكِي: «لَقَدْ تَنَاهَلْتُ إِفْطَارِي، وَلَمْ يَحْنُ مَوْعِدُ الْعَشَاءِ بَعْدُ.»

سَأَلَ دَانِي فِي إِصْرَارٍ بِصَوْتِهِ الرَّفِيعِ: «مَا هُوَ الْأَمْرُ غَيْرُ الْمَسْبُوقِ؟» أَجَابَهُ بِلَاكِي مُفَسِّرًا: «كَانَ هَذَا تَعْجِبًا؛ فَقَدْ اكْتَشَفْتُ اكْتِشَافًا أَدْهَشَنِي لِذَلِكَ صَدَرْتُ عَنِّي تِلْكَ الْعِبَارَةَ عَلَى الْفَوْرِ.»

فَسَأَلَ دَانِي: «مَاذَا كَانَ هَذَا الْإِكْتِشَافُ؟»

رَدَّ بِلَاكِي قَائِلًا: «كَانَ الْإِكْتِشَافُ هُوَ أَنَّ رِيشِي يَنْمُو بِكَثَافَةٍ أَكْبَرَ بِخَلَافِ أَيِّ وَقْتٍ مَضِي. وَلَمْ أَلْاحِظْ ذَلِكَ حَتَّى بَدَأْتُ أَرْتِيهِ مُنْذَ بِضَعْ لَحَظَاتٍ.» وَدَفَنَ مِنْقَارَهُ فِي رِيشِهِ صَدِرِهِ، ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ مَكْتُومٍ: «أَجْلٌ، إِنَّهُ يَبْتُ بِكَثَافَةٍ أَكْبَرَ بِخَلَافِ أَيِّ وَقْتٍ مَضِي. إِنَّهُ يَبْتُ بِكُثْرَةٍ عِنْدَ الْجُذُورِ. سُوفَ يَكُونُ ذَلِكَ أَذْفَأَ مَعْطَافِ رِيشِي حَصَلَتْ عَلَيْهِ فِي حَيَاَتِي.»

رَدَّ دَانِي قَائِلًا: «لَا تَحْسِبْ أَنَّكَ وَحْدَكَ فِي ذَلِكَ. لَمْ يَسْبِقْ أَنْ كَانَ فِرَائِي أَكْثَرَ كَثَافَةً فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ مِمَّا هُوَ الْأَكْنَ، وَيَسِّرِي ذَلِكَ الْأَمْرُ عَلَى فَأْرَةِ الْمُرْوِجِ نَانِي وَأَطْفَالِنَا جَمِيعًا. أَعْتَقِدُ أَنَّكَ تَعْلَمُ مَا يَعْنِيهِ ذَلِكَ.»

سَأَلَ بِلَاكِي: «مَا الَّذِي يَعْنِيهِ ذَلِكَ؟» كَمَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ أَئْنَى فِكْرَةً، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ قَدْ حَمَنَ مَعْنَاهُ فِي لَحْظَةٍ اكْتِشَافِ الرِّيشَاتِ الزَّائِدَةِ.

رَدَ داني كَمَا لَوْ كَانَ يَعْرُفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الْمُوْضُوعِ: «هَذَا يَعْنِي أَنَّهُ سَيَكُونُ شَتَاءً طَوِيلًا قَاسِيًّا فَارِسَ الْبُرْوَةِ، وَأَنَّ الطِّبِيعَةَ الْأَمْعَجُوزَ تُعْدِنَا لَهُ. سَتَجِدُ أَنَّ كُلَّ الْحَيَوانَاتِ الَّتِي لَا تُهَاجِرُ إِلَى الْجَنُوبِ وَلَا تَنَامُ طَوَالِ الشَّتَاءِ قَدْ حَصَلَتْ عَلَى غِطَاءٍ أَغْلَظَ مِنَ الْمُعْتَادِ لِجَسَدِهَا. آه! إِنَّهُ الصَّقْرُ الْعَجُوزُ مُرِيَّشُ الرِّجْلَيْنِ! لَفَدْ جَاءَ مُبَكِّرًا لِلْغَایَةِ هَذَا الْعَامَ. أَعْقَدُ أَنِّي سَأَعُودُ لِاُحْدَرِ نَانِي».

وَدُونَ أَيَّةٍ كَلِمَةٍ أُخْرَى اخْتَفَى داني وَسْطَ الْعُشْبِ الْبَنِيِّ. ضَحِكَ بلاكي مَرَّةً أُخْرَى، وَقَالَ لِنَفْسِهِ: «الْمَزِيدُ مِنَ الْأَدِلَّةِ». المَزِيدُ مِنَ الْأَدِلَّةِ. لَيْسَ ثَمَّةَ شَكٌ فِي أَنَّهُ سَيَكُونُ شَتَاءً عَصِيبًا. تُرَى هَلْ سَيُمْكِنُنِي تَحْمُلُهُ؟ أَمْ أَنَّ الْأَفْضَلَ أَنْ أَنْتَنِقَ إِلَى الْجَنُوبِ قَلِيلًا، حَيْثُ سَيَكُونُ الْجَوُ أَنْفَأَ بَعْضَ الشَّيْءِ».

الفصل السابع عشر

أَمْرٌ عَجِيبٌ

يَبْدُو وَاضِحًا لِي أَنَّ
مَا لَا أَفْهَمُهُ أَسْتَغْرِبُهُ.

الْغَرَابُ بِلَاكِي

قَدْ يَكُونُ بِلَاكِي مُحِقًّا، وَقَدْ لَا يَكُونُ. فَإِذَا كَانَ مُحِقًّا، فَسَيُفَسِّرُ ذَلِكَ غَرَابَةً كَثِيرًا مِنَ الْأَشْخَاصِ فِي الْعَالَمِ. فَإِنَّا إِذْ لَا نَفْهَمُهُمْ، نَسْتَغْرِبُهُمْ. عَلَى الْأَقْلَ، هَذَا مَا يُقُولُهُ الْآخْرُونَ، وَلَا يُفَكِّرُونَ أَبَدًا، وَلَوْ لِمَرَّةٍ، أَنَّهُمْ رُبَّمَا هُمْ مِنْ يَسِّمُونَ بِالْغَرَابَةِ لِأَنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ.

لَكِنَّ بِلَاكِي لَيْسَ مِنَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يَرْضُونَ بِعَدَمِ الْفَهْمِ وَالْاعْتِقادِ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ دُونَهُمْ غَرِيبٌ. فَهُوَ يَبْدُلُ قُصَارَى جُهْدِهِ لِيَفْهَمُ. فَيَنْتَظِرُ وَيُرَاقبُ وَيَسْتَخْدِمُ بَصَرَهُ الْحَادَّ وَسُرْعَةَ بَدِيهَتِهِ حَتَّى يَنْتَهِي بِهِ الْأَمْرُ عَادَةً إِلَى الْفَهْمِ.

فِي الْيَوْمِ الَّذِي اكْتُشَفَ فِيهِ عَلَامَاتُ الطَّبِيعَةِ الْأُمُّ الْعَجُوزِ عَلَى أَنَّ الشَّتَاءَ الْقَادِمَ سَيُكُونُ طَوِيلًا وَقَاسِيًّا وَقَارِسَ الْبُرُودَةِ، قَامَ بِلَاكِي بِزِيَارَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ. فَقَدْ كَانَ اكْتُشَفَ مُنْذُ زَمِنٍ أَنَّ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً تُرِى عَلَى صَفَحَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ أَوْ إِلَى جِوارِهِ، وَلَا تُرِى فِي مَكَانٍ آخَرَ؛ لِذَا كَانَ يَدْهُبُ إِلَى النَّهْرِ فِي أَغْلَبِ الْأَيَّامِ.

إِذْ أَخَذَ بِلَاكِي يَقْرَبُ مِنَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، كَانَ شَدِيدَ الْيَقْظَةِ وَالْحَدَرِ؛ حَيْثُ إِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مَوْسِمُ تَوَاجُدِ الصَّيَادِيْنَ دُوَيِ الْبَنَاؤِ الرَّهِيْبَةِ، وَكَانَ قَدْ عَرَفَ أَنَّهُمْ يَخْتَبِئُونَ عَلَى الْأَرْجَحِ فِي مَكَانٍ مَا عَلَى صِفَافِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ؛ أَمْلًا فِي اصْطِيَادِ السَّيِّدِ كَواكِبِ أوِ السَّيِّدَةِ كَواكِبِ أوِ بَعْضِ أَقْارِبِهِمَا. لِذَا كَانَ شَدِيدَ الْحَدَرِ فِي اقْتِرَابِهِ مِنَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ

بِمَخَاطِرِ الْمُرُورِ بِالْقُرْبِ مِنْ صَيَادٍ يَحْمِلُ بُنْدِقِيَّةً رَهِيبَةً. فَقَدْ أَطْلَقَ عَلَيْهِ النَّارُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ فِيمَا مَضَى. وَلَكِنَّهُ تَعْلَمُ مِنْ هَذِهِ التَّجَارِبِ أَجْلٌ، تَعْلَمُ بِلَاكِي مِنْهَا. أَوْلًا: تَعْلَمُ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَى الْبُنْدِقِيَّةِ عِنْدَمَا يَرَاهَا، وَثَانِيًا: تَعْلَمُ الْبُعْدَ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْبَنَادُقُ عَلَيْهِ وَمَعَ ذَلِكَ تُؤْذِي الْهَدَفَ الَّذِي تُوَجِّهُ إِلَيْهِ، وَتَعْلَمُ أَنْ يَبْقَى دَوْمًا عَلَى بُعْدِ أَكْبَرِ قَلِيلًا. وَكَذَلِكَ تَعْلَمُ أَنَّ الرَّجُلَ أَوِ الطَّفَلَ بِدُونِ الْبُنْدِقِيَّةِ الرَّهِيبَةِ غَيْرُ مُؤْذِنٍ إِلَى حَدِّ بَعِيدٍ، وَأَنَّ الصَّيَادِيْنَ مُخَادِعُونَ وَأَحْيَاً يَخْتَبِئُونَ مِمَّنْ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ. لِذَلِكَ مِنَ الْأَفْضَلِ فِي مَوْسِمِ الصَّيْدِ الْبَعِيقِيْضِ أَنْ يُمْعِنَ الطَّائِرُ النَّظَرَ قَبْلَ أَنْ يَقْرَبَ مِنْ أَيِّ مَكَانٍ.

عَصْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، عِنْدَمَا اقْرَبَ مِنَ النَّهَرِ الْكَبِيرِ، رَأَى رَجُلًا بَدَا مَشْغُولًا لِلْغَايَةِ عَلَى ضِفَافِ النَّهَرِ الْكَبِيرِ، فِي مَكَانٍ يَنْمُو فِيهِ الْأَرْزُ الْبَرِّيُّ وَنَبَاتُ السَّمَارِ لِمَسَافَةِ فِي الْمَاءِ، حَيْثُ كَانَ الْمَاءُ ضَحْلًا حَتَّى مَسَافَةِ بَعِيْدَةٍ عَنِ الْيَابَسَةِ. بَحَثَ بِلَاكِي مُدْقَقًا عَنْ بُنْدِقِيَّةِ رَهِيبَةِ، وَلَكِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَكُنْ مَعْهُ بُنْدِقِيَّةً، وَمَنْ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ تَمَةً مَا يَحْشَأُ بِلَاكِي. فَاقْرَبَ بِلَاكِي بِجُرْأَةٍ حَتَّى صَارَ يَإِمْكَانِهِ رُؤْيَةً مَا يَفْعَلُهُ الرَّجُلُ.

اتَّسَعَتْ عَيْنَا بِلَاكِي عَنْ أَخِرِهِمَا وَكَادَ يَعْقُبُ دَهْشَةً. فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُخْرُجُ حُبُوبَ ذُرَّةٍ صَفَرَاءً مِنْ كِيسٍ وَيُلْقِيَهَا فِي الْمَاءِ، حَفْنَةً فِي كُلِّ مَرَّةٍ. أَجْلٌ، كَانَ ذَلِكَ مَا يَفْعَلُهُ، يَنْثُرُ حُبُوبَ الدُّرَّةِ الصَّفَرَاءِ الْلَّذِيْدَةِ بَيْنَ الْأَرْزِ الْبَرِّيِّ وَنَبَاتِ السَّمَارِ فِي الْمَاءِ! تَمَّتْ بِلَاكِي بَيْنَمَا وَقَفَ يُرَاقبُ الْمَسْهَدَ: «هَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ!» لِمَ يَنْثُرُ ذُرَّةً سَلِيمَةً لَا عَيْبٍ فِيهَا فِي الْمَاءِ؟ إِنَّهُ لَا يَزْرُعُهَا، فَهَذَا لَيْسَ مَوْسِمَ الزَّرَاعَةِ. كَمَا أَنَّهَا لَنْ تَنْتَمُ فِي الْمَاءِ عَلَى أَيِّ حَالٍ. وَمَنْ الْمُؤْسِفُ أَنْ تَهُدَرَ مِثْلُ هَذِهِ الدُّرَّةِ الْلَّذِيْدَةِ. لِمَ يَفْعُلُ هَذَا؟

طَارَ بِلَاكِي إِلَى شَجَرَةٍ أَبْعَدَ قَلِيلًا وَوَقَفَ عَلَى قِمَّتِهَا يُرَاقبُ هَذَا الْأَمْرُ الْعَجِيبِ. فَبِلَاكِي عَيْنَاهُ ثَاقِبَتَانِ وَيُمْكِنُهُ أَنْ يَرَى مِنْ مَسَافَاتٍ بَعِيْدَةً. اسْتَمَرَ الرَّجُلُ لِفَتْرَةٍ فِي نَثْرِ الدُّرَّةِ وَوَاصَّلَ بِلَاكِي التَّسْأَوْلَ عَنْ سَبَبِ فِعْلِهِ ذَلِكَ. فِي النَّهَايَةِ مَضَى الرَّجُلُ عَلَى مَتْنِ قَارِبٍ، وَرَاقَبَهُ بِلَاكِي حَتَّى تَوَارَى عَنِ الْأَنْظَارِ. حَيْثُمَا بَسَطَ جَنَاحَيْهِ وَرَاحَ يَحُومُ حَوْلَ نَبَاتَيِ السَّمَارِ وَالْأَرْزِ الْبَرِّيِّ بِبُطْءٍ، فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ الرَّجُلُ يَنْثُرُ فِيهِ الدُّرَّةِ. وَكَانَ يَإِمْكَانِهِ رُؤْيَةً بَعْضِ الْحُبُوبِ الصَّفَرَاءِ فِي الْقَاعِ. وَسُرْعَانَ مَا رَأَى شَيْئًا آخَرَ، فَهَتَّفَ بِلَاكِي: «آهُ!

الفصل الثامن عشر

ظنون بلاكي

احدَرْ مَا لَا تَفْهِمُ!
قَدْ لَا يَكُونُ مُؤْدِيَا، وَلَكِنْ احْدَرْ!
فَكُلُّمَا تَقَدَّمَ بِكَ الْعُمُرُ، وَجَدْتَ أَنَّ مَا تَعْرِفُ
هُوَ وَحْدَهُ الْجَدِيرُ بِتَقْرِيكَ، فَاحْدَرْ!

الغراب بلاكي

تُلْكَ إِحْدَى الْحِكَمِ الَّتِي يُرَدِّدُهَا بلاكي، وَيَعْمَلُ بِهَا. وَذَلِكَ أَحَدُ أَسْبَابِ اعْتِبَارِ كُلِّ جِيرَانِهِ لَهُ أَنَّهُ أَحَدُ أَذْكَى الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرْوِجِ الْخَضْرَاءِ. فَهُوَ نَادِرًا مَا يَقَعُ فِي مَتَاعِبِ حَقِيقَيَّةٍ؛ لِأَنَّهُ يَتَأَكَّدُ أَوَّلًا مِنْ عَدَمِ وُجُودِ مَتَاعِبٍ يَقَعُ فِيهَا. وَعِنْدَمَا يَكْتَشِفُ شَيْئًا لَا يَعْهُمُهُ، يَشْكُّ فِيهِ عَلَى الْفَوْرِ.

وَعِنْدَمَا شَاهَدَ رَجُلًا يَنْثِرُ الْذَرَّةَ الصَّفِرَاءَ فِي الْمَاءِ مِنْ عَلَى صِفَافِ النَّهَرِ الْكَبِيرِ، ارْتَابَ فِي الْأَمْرِ عَلَى الْفَوْرِ. فَهُوَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْهَمَ السَّبَبَ الَّذِي قَدْ يَدْفَعُ رَجُلًا إِلَى إِلْقاءِ ذَرَّةٍ سَلِيمَةٍ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ وَالْأَرْزِ الْبَرِّيِّ فِي الْمَاءِ. وَلَأَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْهَمَ، شَكَّ عَلَى الْفَوْرِ فِي أَنْ يَكُونَ ثَمَةً غَرَضُ شَرِّيرٍ وَرَاءَ ذَلِكَ. وَعِنْدَمَا غَادَرَ الرَّجُلُ فِي الْقَارِبِ، طَارَ بلاكي بِبُطْءٍ فَوْقَ السَّمَّارِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي أَلْقَى فِيهِ الرَّجُلُ الْذَرَّةَ، وَعَلَى الْفَوْرِ اكْتَشَفَتْ عَيْنَاهُ التَّأَقْبَتَانِ شَيْئًا جَعَلَهُ يَهْنِفُ تَعْجِبًا مِنْ فَوْرِهِ.

مَا الَّذِي اكْتَشَفَهُ بلاكي؟ بِضُعْ رِيشَاتِ فَحَسْبُ. وَإِنَّ أَحَدًا لَا يَمْلِكُ عَيْنَيِّ بلاكي التَّأَقْبَتَيْنِ لَمْ يَكُنْ لِيَكْتَشِفَهَا. وَقَلِيلُونَ مَنْ كَانُوا سَيِّسَتُوقْفُهُمُ الْأَمْرُ إِنْ لَاحَظُوا الرِّيشَاتِ.

وَلَكِنَّ بِلَاكِي عَلِمَ عَلَى الْفَوْرِ أَنَّهَا رِيشَاتُ بَطٌّ. عَلِمَ أَنَّ بَطَةً – أَوْ رُبَّما سِرْبَا مِنَ الْبَطِّ – كَانَتْ تَسْتَرِيْجُ أَوْ تَأْكُلُ طَعَامَهَا فِي هَذَا الْمَكَانِ وَسْطَ نَبَاتَتِ السَّمَّارِ، وَعِنْدَمَا رَحَلَتْ، خَلَفَتْ وَرَاءَهَا رِيشَتَيْنِ نَاعِمَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً.

هَنَفْ بِلَاكِي: «آهُ! كَانَ السَّيِّدُ وَالسَّيِّدَةُ كَوَافُوكَوْ أَوْ بَعْضُ أَقْارِبِهِمَا هُنَا. هَذَا النَّوْعُ مِنَ الْأَمَاكِنِ تَحْدِيدًا يُفَضِّلُهُ الْبَطُّ. وَكَذَلِكَ فَإِنَّ بَعْضَ الْبَطِّ يُحِبُّ الدُّرَّة. وَإِنَّا عَادَ إِلَيْهَا وَوَجَدَ حَبَّاتِ الدُّرَّةِ هَذِهِ، فَسَيَجْعَلُ مِنْهَا وَلِيْمَةً، وَبَعْدَهَا سَيَعُودُ مُجَدِّدًا بِالتَّأْكِيدِ. إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي نَثَرَ الدُّرَّةَ هُنَا لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ بُندُقِيَّةً رَهِيبَةً، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ صَيَادًا. فَرُبَّمَا يَعُودُ مَرَّةً أُخْرَى وَتَكُونُ فِي حَوْزَتِهِ حِينَهَا بُندُقِيَّةً رَهِيبَةً. إِنَّمَا لَأَرْتَابُ فِي ذَلِكَ الرَّجُلِ، أَجْلُ أَرْتَابِ فِيهِ. أَظُنُّ أَنَّهُ وَضَعَ الدُّرَّةَ هُنَا مِنْ أَجْلِ الْبَطِّ، وَلَا أَعْتَقُدُ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ بِدَافِعٍ طَبِيعِيَّةٍ قَلْبِهِ. لَوْ كَانَ هَذَا الشَّخْصُ هُوَ ابْنُ الْمَرْأَةِ بِراونِ، كُنْتُ سَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمُورَ عَلَى مَا يُرِأَمُ، وَأَنَّهُ كَانَ يُفَكِّرُ فِي الْبَطِّ الْجَائِعِ، الَّذِي لَا يَجِدُ إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْأَمَاكِنِ حَيْثُ يُمْكِنُهُ أَنْ يَأْكُلَ فِي أَمَانٍ أَثْنَاءَ رِحْلَتِهِ الطَّوِيلَةِ مِنَ الشَّمَالِ الْبَعِيدِ إِلَى الْجَنُوبِ الْمُشْمِسِ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ ابْنُ الْمَرْأَةِ بِراونِ. هَذَا الْأَمْرُ لَا يُرِيحُنِي. إِنَّهُ لَا يُرِيحُنِي الْبَتَّةُ. سَوْفَ أُواصِلُ مُرَاقبَةَ هَذَا الْمَكَانِ وَأَرَى مَا سَيَحْدُثُ.»

وَطُولَ الطَّرِيقِ إِلَى مَكَانِهِ الْمُفَضَّلِ عَلَى شَجَرَةِ شُوكَرَانِ مُعَيَّنَةٍ فِي الْغَابَةِ الْحَضَرَاءِ، ظَلَّ بِلَاكِي يُفَكِّرُ فِي الدُّرَّةِ وَالرَّجُلِ الَّذِي بَدَا كَرِيمًا، وَكُلُّمَا فَكَرَ فِي الْأَمْرِ أَكْثَرَ، ازْدَادَتْ شُكُوكُهُ. فَهُوَ لَمْ يَرْتَحْ لِذَلِكَ الْأَمْرِ عَلَى الإِطْلَاقِ.

وَبَيْنَمَا كَانَ بِلَاكِي يَسْتَعِدُ لِلنَّومِ، تَمَّتْ قَائِلًا: «سَوْفَ أَنْصَحُ عَائِلَةَ كَوَافُوكَ بِالابْتِعَادِ عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ. سَيَكُونُ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا أَفْعَلُهُ فِي الصَّبَاحِ. لَوْ أَنَّهُمْ يَمْلُكُونَ ذَرَّةً عَقْلٍ، فَسَوْفَ يَبْقَوْنَ عِنْدَ بِرْكَةِ الْقُنْدِسِ بَادِي. وَلَكِنَّهُمْ إِذَا ذَهَبُوا إِلَى النَّهَرِ الْكِبِيرِ، فَسَيَحِدُونَ الدُّرَّةَ بِالتَّأْكِيدِ، وَإِذَا وَجَدُوهَا مَرَّةً، فَسَوْفَ يُوَاصِلُونَ الْذَهَابَ إِلَى هُنَاكَ مِنْ أَجْلِ الْمَزِيدِ. رُبَّمَا كَانَ الْأَمْرُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، وَلَكِنِي غَيْرُ مُرْتَاحٍ لِمَا يَبْدُو عَلَيْهِ.»
وَنَامَ بِلَاكِي وَالشُّكُوكُ لَمْ تَزَلْ تَمَلُّ قَلْبَهُ.

الفصل التاسع عشر

بلاكي يصل إلى مزيد من الاكتشافات

أشياء صغيرة غير مرئية
ربما كان لها بالغ الأهمية.

الغراب بلاكي

يَمْلِئُ أَحْدُ أَسْرَارِ نَجَاحِ بلاكي فِي أَنَّهُ لَا تَفُوتُهُ أَبْدًا مُلْاحَظَةً الْأَشْيَاءِ الصَّغِيرَةِ؛ فَقَدْ تَعْلَمَ مُنْذُ زَمَنٍ أَنَّ الْأَشْيَاءَ الصَّغِيرَةَ الَّتِي تَبْدُو غَيْرِ مُؤْذِنَةٍ فِي حَدِّ ذَاتِهَا وَغَيْرِ جَدِيرَةِ بِالْمُلْاحَظَةِ، رُبَّمَا تُشَتِّتُ مُجْتَمِعَةً أَكْثَرَ الْأَشْيَاءِ أَهْمَيَّةً فِي الْحَيَاةِ. لِذَلِكَ، فَيُصْرِفُ النَّظِيرُ عَنْ مَدِي عَدَمِ الْأَهْمَيَّةِ الَّتِي قَدْ يَبْدُو عَلَيْهَا الشَّيْءُ، يَفْقَدُهُ بلاكي بِعِنَايَةٍ بِعِينَيْهِ التَّاقِبَتَيْنِ هَاتَيْنِ وَيَتَذَكَّرُهُ. كَانَ أَوْلُ شَيْءٍ فَعَلَهُ بلاكي — بِمُجَرَّدِ أَنْ أَسْتِيقَطَ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي لِاكتِشافِهِ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ يَنْتَرُ حَبَّاتِ الذَّرَّةِ بَيْنِ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ فِي مَكَانٍ مُعَيَّنٍ عَلَى حَافَةِ النَّهَرِ الْكَبِيرِ — هُوَ أَنْ طَارَ إِلَى بِرْكَةِ الْقُدُّوسِ بَادِي، وَحَذَرَ السَّيِّدَ وَالسَّيِّدَةَ كَوَاكَ مَرَّةً أُخْرَى مِنَ الدُّنُوِّ مِنَ النَّهَرِ الْكَبِيرِ إِذَا أَرَادَا أَنْ يَظَلُّا فِي أَمَانٍ هُمَا وَأَطْفَالُهُمَا السَّتَّةُ. بَعْدَهَا تَنَاوَلَ إِفْطَارَهُ، تَنَاوَلَهُ فِي عِجَالَةٍ وَطَارَ إِلَى النَّهَرِ الْكَبِيرِ مُبَاشِرًا؛ حِيثُ شَاهَدَ الرَّجُلَ يَنْتَرُ الذَّرَّةَ. لَمْ يَتَفَاجَأْ بلاكي كَثِيرًا بِرُؤْيَةِ ذَكَرِ الْبَطِّ الْأَسْوَدِ دَاسِكي — ابْنِ عَمِ السَّيِّدِ وَالسَّيِّدَةِ كَوَاكِ مِنْ عَائِلَةِ الْبَطِّ الْبَرِّيِّ — مَعَ عَدَدٍ مِنْ أَقْارِبِهِ وَسُطُّ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ وَالْأَرْزِ الْبَرِّيِّ فِي نَفْسِ الْمَكَانِ الَّذِي نُشِرتُ فِيهِ الذَّرَّةُ. بَدَأُوا جَمِيعًا مَسْرُورِينَ وَمُبْتَهِجِينَ إِلَى أَقْصَى حَدٍّ. وَقَدْ خَمَنَ بلاكي السَّبَبَ؛ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرَى وَلَوْ حَبَّةً وَاحِدَةً مِنَ الذَّرَّةِ الصَّفِرَاءِ. كَانَ

يَعْلَمُ طِبَاعَ داسكي وَأَقْارِبِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُمْ جَاءُوا اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَّةَ وَقْتَ الْغَسَقِ وَفَوْرًا وَجَدُوا حَبَّاتِ الذُّرَّةِ الْمَنْتُورَةَ. وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ سَيَظْلُونَ مُخْتَيَّنَ هُنَاكَ حَتَّى يَجِدُوا مَا يُخْيِفُهُمْ، وَحِينَها سَيَقْضُونَ بِقِيَّةَ النَّهَارِ فِي بِرْكَةٍ صَغِيرَةٍ؛ حَيْثُ يُسْتَبَعُ أَنْ يُزْعِجُهُمْ أَحَدٌ أَوْ عَلَى الْأَقْلَلِ لَنْ يَقْرَبَ مِنْهُمْ خَطْرُ دُونَ أَنْ يَرْوُهُ قَبْلَ وُصُولِهِ بِوَقْتٍ طَوِيلٍ. وَهُنَاكَ سَوْفَ يَظْلُونَ طَوَالِ الْيَوْمِ، وَعِنْدَمَا تَرْحَفُ الظَّلَالُ السُّودَاءُ مِنْ نَاحِيَّةِ التَّلَالِ الْأَرْجُوَانِيَّةِ، يَعُودُونَ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنَ النَّهَارِ الْكِبِيرِ لِلْحُصُولِ عَلَى الطَّعَامِ؛ فَهَذَا هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي يُفَضِّلُونَ الْبَحْثَ عَنِ الطَّعَامِ فِيهِ.

نَظَرَ داسكي لِأَعْلَى عِنْدَمَا حَلَقَ بلاكي مِنْ فَوْقِهِ، وَلَكِنَّ بلاكي لَمْ يَقُلْ شَيْئًا، وَلَمْ يَقُلْ داسكي شَيْئًا. وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَكُنْ بلاكي قَدْ اسْتَخْدَمَ لِسَانَهُ، فَقَدْ اسْتَخْدَمَ عَيْنَيْهِ. وَرَأَى عَلَى حَافَةِ الشَّاطِئِ مَا يُشَبِّهُ مَجْمُوعَةً كَبِيرَةً مِنَ الشُّجَرَاتِ الصَّغِيرَةِ الْمُتَلَاصِقَةِ عِنْدَ حَافَةِ الْمَاءِ. وَكَانَ مُخْتَلِطًا مَعَهَا مَجْمُوعَةً كَبِيرَةً مِنْ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ الْبُوبِيَّةِ. بَدَتْ غَيْرُ مُؤْذِنَةٍ وَبِرِيشَةٍ لِلْغَایَةِ، وَلَكِنَّ بلاكي كَانَ يَعْرِفُ كُلَّ بُوْصَةٍ مِنْ شَاطِئِ النَّهَارِ الْكِبِيرِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الشُّجَرَاتِ لَمْ تَكُنْ فِي هَذَا الْمَكَانِ خَلَالَ الصَّيفِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهَا لَمْ تَنْمُ فِي هَذَا الْمَكَانِ. فَطَارَ فَوْقَهَا مُبَاشِرًا، وَوَجَدَ وَرَاءَهَا بَعْضَ قِطْعَ الْخَشَبِ. لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْأَخْشَابُ مَوْجُودَةً هُنَاكَ عِنْدَمَا مَرَ بِذَلِكَ الْمَكَانِ مُنْذُ بَضْعَةِ أَيَّامٍ. كَانَ مُتَأكِّدًا مِنْ ذَلِكَ.

قَالَ بلاكي بِصَوْتٍ خَفِيِّ: «آه! تَبَدُّلِي هَذِهِ الشُّجَرَاتُ مُنَاسِبَةٌ — مُنَاسِبَةً تَمَامًا — لِجُلوسِ صَيَادٍ عَلَيْهَا. إِذَا جَلَسَ الصَّيَادُ هُنَاكَ خَلْفَ هَذِهِ الشُّجَرَاتِ، فَسَيَتَوَارِي عَنْ أَنْظَارِ أَيِّ بَطَّةٍ قَدْ تَأْتِي لِلْبَحْثِ عَنِ الذُّرَّةِ الصَّفِرَاءِ الْلَّذِيدَةِ الْمَنْتُورَةِ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ. هَذَا الْأَمْرُ لَا يَبْدُو مُرِيحًا، أَجَلُ، لَا يَبْدُو مُرِيحًا. أَطْنُ أَنَّنِي سَارَاقُ هَذَا الْمَكَانَ».

عَادَ بلاكي عَدَّةَ مَرَاتٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى النَّهَارِ الْكِبِيرِ. وَفِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَّةِ وَجَدَ أَنَّ داسكي وَأَقْارِبَهُ قَدْ غَارَوْا الْمَكَانَ. وَعِنْدَمَا عَادَ عَصْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، رَأَى الرَّجُلَ نَفْسَهُ الَّذِي رَأَاهُ عَصْرَ الْيَوْمِ السَّابِقِ، وَكَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ نَفْسَهُ؛ إِذْ كَانَ يَنْثُرُ الذُّرَّةَ الصَّفِرَاءَ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ. وَكَمَا حَدَثَ فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ، غَادَرَ الْمَكَانَ فِي قَارِبٍ.

تَمْتَمَ بلاكي بَيْنَمَا يَهُرُّ رَأْسَهُ: «هَذَا الْأَمْرُ لَا يُرِيْحُنِي، أَجَلُ لَا يُرِيْحُنِي..»

الفصل العشرون

بلاكي يُحَذِّرُ الآخرين

عِنْدَمَا تَرَى عَيْرَكَ فِي حَطَرٍ،
نَبِّهْهُ وَأَوْ كَانَ عَرِيبًا لِيُأْخُذُ الْحَذَرَ.

الْغُرَابُ بلاكي

ظَلَّ الرَّجُلُ يَأْتِي يَوْمِيًّا طِيلَةً أَسْبُوعٍ فِي قَارِبِ لِيَنْتَرُ الدُّرَةَ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَارِ فِي بُقْعَةٍ بَعْيَنْهَا عَلَى صِفَافِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، وَكَانَ بلاكي يُرَاقِبُهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَهُزُّ رَأْسَهُ الْأَسْوَدَ مُحَدِّثًا نَفْسَهُ بِأَنَّهُ غَيْرُ مُرْتَاحٍ لِهَذَا الْأَمْرِ، وَأَنَّهُ مُتَأَكِّدٌ أَنَّ وَرَاءَهُ غَرَاضًا شَرِيرًا. أَحْيَانًا كَانَ بلاكي يُرَاقِبُ عَنْ بُعْدٍ، وَأَحْيَانًا أُخْرَى كَانَ يُحَلِّقُ فَوقَ الرَّجُلِ. وَلَكِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ بُنْدِيقَةً فِي أَيِّ مَرَّةٍ.

كَانَ بلاكي يَطِيرُ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ كُلَّ يَوْمٍ فِي الصَّبَاحِ الْبَاهِرِ، فَيَجُدُّ دَاسِكِي وَأَقْارِبِهِ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَارِ وَالْأَرْضِ الْبَرِّيِّ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الْمُحَدِّدِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُمْ قَضَوُ اللَّيْلَ فِي هَذَا الْمَكَانِ. كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ جَاءُوا الْلَّيْلَةِ الْمَاضِيَّةِ وَقَتَ الْعَسْقِ لِيَأْكُلُوا الدُّرَةَ الصَّفَرَاءِ الَّتِي يَنْتَرُهَا الرَّجُلُ عَصْرًا فِي هَذَا الْمَكَانِ.

قَالَ بلاكي مُحَدِّثًا نَفْسَهُ: «لَا شَانَ لِي بِمَا تَفْعَلُهُ تِلْكَ الْبَطَاطُ، وَلَكِنِي مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّ شَيْئًا سَيَحْدُثُ لِبَعْضِهِمْ يَوْمًا مَا مِثْلَ تَأكِيدِي مِنْ سَوَادِ رِيشِ ذَيْلِي. رُبَّمَا اخْنَثَتْ عَلَيْهِمْ حُدُودُهُ هَذَا الرَّجُلُ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَنْتَطِلْ عَلَيَّ، لَمْ تَنْتَطِلْ عَلَيَّ الْبَتَّةَ. لَمْ يَكُنْ مَعَهُ بُنْدِيقَةً فِي أَيِّ مَرَّةٍ رَأَيْتُهُ فِيهَا، وَلَكِنَّهُ صَيَّادٌ، أَشْعُرُ بِذَلِكَ فِي أَعْمَاقِي. إِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ الْبَطَاطِ الْحَمْقاوَاتِ تَأْتِي إِلَى هُنَا كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ أَجْلِ الدُّرَةِ الَّتِي يَنْتَرُهَا، وَيَعْرُفُ أَنَّهَا بَعْدَ أَنْ تَأْتِي إِلَى هُنَا بِضَعَ

مَرَاتٍ دُونَ أَنْ تَجِدَ مَا يُخِيفُهَا، سَتَطْمَئِنُ إِلَى أَنَّ الْمَكَانَ آمِنٌ، وَلَا تَشْكُ فِيهِ مُطْلَقاً. ثُمَّ إِنَّهُ سَوْفَ يَحْتَبِي حَلْفَ تِلْكَ الشُّجَيرَاتِ الَّتِي وَضَعَهَا بِالْقُرْبِ مِنْ حَافَةِ الْمَاءِ وَيَنْتَظِرُهَا بِبُنْدِقِيَّةِ الرَّهَبِيَّةِ. هَذَا هُوَ مَا سَيَفْعَلُهُ وَلَا شَكَّ.»

أَخِيرًا قَرَرَ بِلَاكِي أَنْ يُلْمَحَ بِالْأَكْمَرِ لِداسْكِي، فَنَذَهَبَ لِزِيَارَتِهِ صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِي. قَالَ بِلَاكِي لِداسْكِي، الَّذِي كَانَ يَسْبِحُ أَمَامَهُ: «صَبَاحُ الْخَيْرِ، أَتَمَنِي أَنْ تَكُونَ فِي أَفْضَلِ حَالٍ كَمَا يَبْدُو عَلَيْكَ.»

رَدَّ دَاسْكِي قَائِلًا: «كُوَّاْكُ، كُوَّاْكُ، إِنْدَمَا يُطْرِي الْغُرَابُ بِلَاكِي أَحَدًا، فَإِنَّهُ يُرِيدُ مِنْهُ شَيْئًا. مَاذَا تُرِيدُ هَذِهِ الْمَرَّةَ؟»

رَدَّ بِلَاكِي: «لَا شَيْءَ، أَقْسِمُ بِشَرْفِي. لَا يُوجَدُ شَيْءٌ يَعْتَنِي هُنَا، رَغْمَ أَنَّهُ يَبْدُو أَنَّهُ يُوجَدُ الْكَثِيرُ لَكَ وَلِأَقْارِبِكَ، بِمَا أَنَّنِي أَجْدُوكَ وَأَقْارِبَكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ نَفْسِهِ كُلُّ صَبَاحٍ. مَا السَّبَبُ فِي ذَلِكَ؟»

رَدَّ دَاسْكِي بِصَوْتٍ خَفِيْضٍ كَمَا لَوْ كَانَ خَائِفًا مِنْ أَنْ يَسْمَعَهُ أَحَدٌ: «ذُرَّةُ! ذُرَّةُ صَفَرَاءُ لَذِيْدَةُ!»

هَتَّفَ بِلَاكِي مُتَعَجِّبًا: «ذُرَّةُ! وَكَانَ الْمُفَاجَأَةَ صَعْقَتُهُ. وَسَأَلَ: «كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَصِلَ الدُّرَّةُ إِلَى الْمِيَاهِ هُنَا؟»

هَرَّ دَاسْكِي رَأْسَهُ وَقَالَ: «لَا تَسْأَلْنِي؛ فَإِنَّا لَا أَدْرِي. لَيْسَ لَدَيَّ أَدْنَى فِكْرَةٍ. كُلُّ مَا أَعْرِفُهُ هُوَ أَنَّنَا نَجِدُهَا هُنَا إِنْدَمَا نَأْتَيْ كُلَّ مَسَاءٍ. كَيْفَ تَصِلُ إِلَى هُنَا، لَا أَعْرِفُ، كَمَا أَنَّنِي لَا أَهْتَمُ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ. يَكْفِيَنِي وُجُودُهَا هُنَا.»

قَالَ بِلَاكِي: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجْلًا هُنَا يَأْتِي عَصْرَ كُلِّ يَوْمٍ. ظَنَنتُ أَنَّهُ رُبَّمَا يَكُونُ صَيَّادًا.»

فَسَأَلَهُ دَاسْكِي بِإِرْتِيَابٍ: «هَلْ كَانَ يَحْمِلُ بِبُنْدِقِيَّةِ رَهَبِيَّةً؟

رَدَّ بِلَاكِي: «لَا.»

فَهَتَّفَ دَاسْكِي وَقَدْ بَدَا عَلَيْهِ الْإِرْتِيَابُ: «إِنْ هُوَ لَيْسَ صَيَّادًا.»

فَقَالَ بِلَاكِي مُلْمِحًا إِلَى ظَنِّهِ: «وَلَكِنْ رُبَّمَا يَجْلِبُ مَعَهُ بِبُنْدِقِيَّةِ يَوْمًا مَا وَيَنْتَظِرُكُمْ حَتَّى تَأْتُوا لِتَنَاوِلِ الْعَشَاءِ. يُمْكِنُهُ أَنْ يَحْتَبِي حَلْفَ تِلْكَ الشُّجَيرَاتِ، كَمَا تَعْلَمُ.»

أَلْقَى دَاسْكِي رَأْسَهُ إِلَى الْوَرَاءِ وَرَدَّ قَائِلًا: «عَيْرُ مَعْقُولٌ! لَمْ نَجِدْ شَيْئًا يُنْذِرُ بِالْخَطْرِ مُنْذُ أَنْ جَنَّا إِلَى هُنَا. إِنَّنِي أَعْرِفُكَ يَا بِلَاكِي؛ إِنَّكَ تَغَافِرُ مِنَّا؛ لِأَنَّنَا وَجَدْنَا طَعَامًا وَفِيرًا هُنَا،

بلاكي يُحدّر الآخرين

وَلَمْ تَجِدْ أَنْتَ شَيْئاً، وَتُحَاوِلُ أَنْ تُخِيفَنَا. لَكِنِّي أُخْبُرُكَ أَنَّكَ لَا تَسْتَطِعُ أَنْ تُخِيفَنَا وَتُبْعِدَنَا
عَنْ مِثْلِ هَذَا الطَّعَامِ الرَّائِعِ الَّذِي نَجِدُهُ هُنَا؛ فَإِلَيْكَ عَنَا!»

الفصل الحادي والعشرون

بلاكي يتأكدُ أخيراً

مَنْ يَتَغَلَّبُ عَلَى الْحَوْفِ مِنْ أَجْلِ الْأَخْرِينَ
شُبَّاحٌ حَقًّا، هَذَا أَكِيدُ.

الْغُرَابُ بلاكي

في وقتٍ متأخرٍ من فتره ما بعد الظهيره، كان بلاكي في طريقه إلى الغابة الخضراء. وكالمعتاد، مر فوق النهر الكبير ليمر ما إذا كان الرجل ينشر حبات الذرة من أجل البط، فلم يجد هناك ولم ير أحداً على صفاف النهر الكبير.

فكَّر بلاكي قائلاً: «إنه لم يأت اليوم، أو إنه جاء مبكراً وغادر». ثم لمحت عيناه الثاقبتان شيئاً جعله يميل جانباً ويتجه إلى شجرة معينة مباشرةً، ومن فوق هذه الشجرة استطاع أن يرى كلّ ما يحدث لمسافة بعيدة. فما الذي رأه بلاكي؟ كان ما رأه قارباً آتياً من أعلى النهر الكبير.

جلس بلاكي ثابتاً يراقب ما يحدث. وسرعان ما دخل القارب بين نباتات السمّار، وبعد لحظة نزل منه رجل على الشاطئ. كان هو نفس الرجل الذي رأه بلاكي ينشر الذرة بين الزرع يومياً طليلاً أسبوع. لم يكن ثمة شك في ذلك، كان هو ذاك الرجل نفسه.

صاح بلاكي: «يااااه! وكاد يفقد توازنه من فرط الإثارة. «يااااه! كما توقعت تماماً!» كانت عيناً بلاكي الثاقبتان قد لمحتا الرجل يحمل شيئاً، وهذا الشيء كان بندقية، بندقية رهيبة. وبلاكي يمير البنادق الرهيبة متى وقع عليهما بصره.

مَشِي الصَّيَادُ – فِي الْطَّبَيعِ كَانَ صَيَادًا – عَلَى ضِفَافِ النَّهَرِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الشُّجَيرَاتِ الَّتِي لَاحَظَهَا بِلَاكِي بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَاءِ، وَالَّتِي كَانَ يَعْرِفُ أَنَّهَا لَمْ تَنْبُتْ فِي هَذَا الْمَكَانِ. تَفَقَّدَ الصَّيَادُ النَّهَرَ الْكَبِيرَ بِعِينِيهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي نَثَرَ فِيهِ الْذَرَةَ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ، فَلَمْ يَرِ بِهِ حَبَّةَ ذَرَةٍ. وَبَدَا أَنَّهَا هَذَا أَسْعَدَهُ. ثُمَّ عَادَ إِلَى الشُّجَيرَاتِ وَجَلَسَ عَلَى قِطْعَةِ خَشْبٍ خَلْفَهَا، وَاضْعَافَ بُدُوقِيَّتَهُ الرَّهِيَّةَ عَلَى رُكْبَيْهِ.

عَمْغَمَ بِلَاكِي: «كُنْتُ مُتَنَكِّدًا. سَوْفَ يَنْتَظِرُ هُنَاكَ حَتَّى قُدُومِ الْبَطَّ، وَبَعْدَهَا سَيَجْدُ شَيْءٌ مُرْوَعٌ. يَا لَهُمْ مِنْ مَخْلُوقَاتِ بَعِيشَةٍ هَوَلَاءِ الصَّيَادِينَ! إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا عَنِ الْإِنْصَافِ. أَجَلُ، إِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مَا هُوَ الْإِنْصَافُ. لَقَدْ وَضَعَ الطَّعَامَ فِي هَذَا الْمَكَانِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ؛ حَيْثُ سَيَكُونُ مِنَ الْمُحَتَمِ أَنْ يَجِدَهُ دَاسِكِي وَأَقَارِبُهُ، وَانتَظَرَ حَتَّى اطْمَانُوا تَمَامًا إِلَى عَدَمِ جُودِ خَطَرٍ؛ حَتَّى لَا يَشْعُرُوا بِأَيِّ ارْتِيَابٍ. إِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ مُطْمَئِنِينَ تَمَامًا إِلَى أَنَّ الْوَضْعَ آمِنٌ، حَتَّى إِنَّهُمْ لَنْ يَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ. حِينَهَا سَوْفَ يُطْلُقُ بُدُوقِيَّتَهُ الرَّهِيَّةَ وَيَقْتُلُهُمْ دُونَ مَنْحِمْهِمْ أَيِّ فُرْصَةٍ عَلَى الإِطْلَاقِ».

«إِنَّ التَّعَلَّبَ رِيدِي صَيَادٌ مَاكِرٌ وَمَاهُرٌ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلْ شَيْئًا كَهَذَا، وَلَا الْقَيُوتُ الْعَجُوزُ وَلَا أَيُّ كَائِنٌ أَخْرَى مِنْ ذَوِي الْقَرْوَ أوِ الرِّيشِ. رُبَّمَا يَخْتَبِئُونَ وَيُحَاوِلُونَ مُبَاغَةَ أَحَدِهِمْ. لَا بَأْسَ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يُفْتَرِضُ بِكُلِّ مِنَّا أَنْ يَحْذَرَ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ. يَا إِلَهِي! مَاذَا عَسَى يَأْفِعُ؟ لَقَدْ حَانَ وَقْتُ عَوْدَتِي إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ؛ فَسَوْفَ تَأْتِي الظَّلَالُ السَّوْدَاءُ عَمَّا قَرِيبٌ مِنْ وَرَاءِ التَّلَلِ الْأَرْجُوَانِيَّةِ، وَيَجِبُ أَنْ أَكُونَ فِي أَمَانٍ شَجَرَةِ الشُّوْكَرَانِ آنَذَكَ.

سَوْفَ أَمُوتُ مِنَ الْحَوْفِ إِذَا بَقِيتُ فِي الْخَارِجِ بَعْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ. لَكِنْ يَتَبَغِي تَحْذِيرُ تِلْكَ الْبَطَّاَتِ. يَا إِلَهِي! مَاذَا أَفْعُلُ؟!»

تَطَلَّعَ بِلَاكِي فِي اِتِّجَاهِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ ثُمَّ فِي اِتِّجَاهِ التَّلَلِ الْأَرْجُوَانِيَّةِ الَّتِي سَيَأْوِي خَلْفَهَا قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرِ الْمُسْتَدِيرُ الْمَرْحُ إِلَى فِرَاشِهِ قَرِيبًا. وَارْتَجَفَ عِنْدَمَا فَكَرَ فِي الظَّلَالِ السَّوْدَاءِ الَّتِي سَتَأْتِي عَمَّا قَرِيبٌ مِنْ عِنْدِ التَّلَلِ الْأَرْجُوَانِيَّةِ عَابِرَةً النَّهَرَ الْكَبِيرَ وَتَغْزُو الْمُرْوَجَ الْخَضْرَاءَ. وَرُبَّمَا يَأْتِي مَعَهَا السَّيِّدُ هُوتِي، الَّذِي لَنْ يُمَانِعْ مُطْلَقاً فِي تَنَاؤلِ غَرَابِ عَلَى الْعَشَاءِ. وَتَمَنَّى لَوْ كَانَ عَلَى شَجَرَةِ الشُّوْكَرَانِ فِي تِلْكَ الْحَظْةِ.

بلاكي يَتَأَكَّدُ أَخِيرًا

ثُمَّ نَظَرَ بلاكي إِلَى الصَّيَادِ الَّذِي يَحْمِلُ بُنْدِقِيَّةً الرَّهِيبَةَ وَفَكَّرَ فِيمَا قَدْ يَحْدُثُ – مَا الَّذِي مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَحْدُثَ – مَا لَمْ يُحَدِّرِ الْبَطَّ. وَتَمَّ قَائِلًا: «سُوفَ أَنْتَظِرُ بُزْهَةً». وَحَاوَلَ أَنْ يَتَشَجَّعَ، وَلَكِنَّهُ ارْتَعَدَ حَوْفًا بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ.

الفصل الثاني والعشرون

بلاكي يعود إلى المنزل سعيداً

لَا سَعَادَةَ أَكْبُرٍ مِّنْ سَعَادَةِ مُسَاعِدَةِ الْغَيْرِ.

الغراب بلاكي

جلس بلاكي على قمة شجرة قريبة من صفة النهر الكبير محتاراً بشأن ما ينبغي أن يفعله. أراد أن يعود بيته على شجرة الشوكران الكبيرة كثيفة الأغصان في الغابة الخضراء قبل الغسق؛ إذ إنه يخاف الظلام؛ أي إنه يخاف البقاء خارج المنزل بعد حلول الظلام.

قال صوت داخله: «عد إلى المنزل؛ فالوقت الآن يتسع بالكاد للعودة قبل وصول الظلال السوداء. لا تخضع مزيداً من الوقت هنا. إن ما يمكن أن يحدث لتلك البطات الحمقاء ليس من شأنك، ولا يوجد ما يمكن فعله بأي حال. هيأ عد إلى المنزل.»

قال صوت حفيض آخر داخله: «انتظر بضم دقائق. لا تكن جباناً. ينبغي أن تخبر داسكي وبربه أنه ثمة صياد يحمل بندقية رهيبة في انتظارهم. هل صحيح أن ما يحدث للبط ليس من شأنك؟! أعد التفكير يا بلاكي؛ أعد التفكير. من واجب كل من يرى خطراً مشتركاً أن ينذر جيرانه. إذا حدث شيء مروع لداسكي لأنك كنت حائفا من الظلام؛ فلن يهنا لك بالآبد. ابق قليلاً وواصل المراقبة.»

لم يمض أكثر من حميس دقائق إلا ورأى بلاكي شيئاً أشعره بالسعادة لأنّه واصل المراقبة. كان خطأ أسود يتحرّك بالقرب من صفة النهر الكبير، وكان قداماً نحوه. كان يعرف ما هذا الخط الأسود، فنظر إلى الصيادي المحتتب خلف الشجيرات القريبة من

حافة الماء. كان الصياد جاثماً على الأرض ممسكاً ببنديقيته الرهيبة بين يديه، ويخاتس النظر من وراء الشجيرات مراقباً الخط الأسود. كان يعرف هو الآخر ما هو ذلك الخط الأسود؛ إنه سرب البطة الطائير.

ارتعش بلاكي مرأة أخرى من قمة رأسه وحتى أحمر قدميه، ولكن هذه المرأة لم تكن الرغشة بسبب حوفه من البقاء خارج المنزل في الليل، وإنما من فرط الإثارة؛ فقد كان يعلم أن تلك البطات أصبحت تتوق لمزيد من الذرة؛ تلك الذرة الصفراء اللذيدة التي كانت تجدها كل ليلة لمدة أسبوع متتورة بين النباتات أمام المكان الذي يختبئ فيه الصياد مباشرةً، حتى إنها لم تستطع انتظار قدوم الظلال السوداء. كانت مطمئنة تماماً إلى عدم وجود خط، حتى إنها أتت لتأكل دون انتظار الظلال السوداء، كما تفعل في المعتاد. وقد كان بلاكي مسروراً؛ إذ ربما صار بإمكانه أن يحدّرها.

نحو متصف النهر الكبير، كان سرب البط يطير فوق المياه مباشرةً، بقيادة داسكي. ويا لسرعة طيران تلك الطيور الكبيرة التسعة! كان بلاكي يحسدها على سرعة أجنحتها؛ فقد طارت متجاوزة الصياد المختبئ بين الشجيرات وقطعت مسافة كبيرة فوق النهر الكبير. ولوهلة ظن بلاكي أنها ستتوصل طريقة إلى أعلى النهر ولن تذهب لتناول الطعام. ثم إنها مالت نحو الضفة الأخرى، ودارت في حلقة وتوجهت مباشرةً نحو الصياد المختبئ. نظر بلاكي إليه ورأاه استعد لإطلاق النار.

فدون تفكير يدُكُر، بسط بلاكي جناحيه وطار من على الشجرة، صائحاً بأعلى صوته: «كاو كاو كاو كاو! كاو كاو كاو كاو!» كانت هذه صيحة الخطير التي يعرفها كل من في المروج الخضراء والغابة الخضراء.

على الفور دار داسكي وببدأ في التحليق عالياً وتبعد بقيمة السرب، وحين مرروا من فوق الصياد المختبئ كانوا قد وصلوا إلى ارتفاع عالٍ جداً، حتى لم يعُد إطلاق النار عليهم مجدياً. بالفعل، صوب الصياد بندقيته ناحيتهم، ولكنه لم يطلق النار؛ فهو لم يرُغب في أن يُخيفهم حتى يعودوا مرأة أخرى. ثم استدار السرب وحلق عائداً في الاتجاه الذي جاء منه، وفي غضون دقائق قليلة كانوا مجرد خط أسود في سبيله للاختفاء عند الطرف الآخر للنهر الكبير.

بلاكي يَعُودُ إِلَى الْمَنْزِلِ سَعِيدًا

اتَّجَهَ بلاكي نَحْوَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ مُبَاشِرَةً، ضَاحِكًا أَثْنَاءَ طَيَّارَيْهِ. كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْبَطَّ
لَنْ يَعُودَ إِلَّا بَعْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ. لَقَدْ أَنْقَذَهُمْ هَذِهِ الْمَرَّةُ، وَكَانَ سَعِيدًا لِلْفَاعِيَةِ، حَتَّى إِنَّهُ
لَمْ يُلْحِظِ الظُّلُلَ السَّوْدَاءَ مِنَ الْأَسَاسِ. أَمَّا الصَّيَادُ فَقَدْ وَقَفَ وَأَخَذَ يَهُزُ قَبْضَتَهِ لِبِلاكي
مُنْتَوِّعًا.

الفصل الثالث والعشرون

بلاكي يستدعي ابن المزارع براون

استيقظ بلاكي شاعرًا سعادةً باللغة؛ فإنه قد أتقن داسكي وسرية من الصياد صاحب البنديقية الرهيبة قبل الغسق في اليوم السابق. لم يكن متأكداً تماماً مما إذا كانت سعادته نابعةً من إنفاذ سرب البطة بتحذيرهم في الوقت المناسب، أم من إحباط خطط الصياد؛ فبلاكي يكره الصياديون ذوي البنادق الرهيبة، هو في ذلك مثل سكان الغابة الخضراء والمروج الخضراء الصغار جمياً.

بدأ بلاكي البحث عن إفطاره مسروراً. وبعد الإفطار، طار إلى النهر الكبير ليرى ما إذا كان داسكي يأكل بين النباتات النامية على طول الشاطئ فلما يجده، وحمن بلاكي أنه وسرية خافوا كثيراً من تحذيره؛ حتى إنهم لم يقتربوا من المكان في الليلة الماضية. تمت بلاكي قائلاً بينما كان يهبط على قمة شجرة، هي نفس الشجرة التي كان يراقب منها الصياد عصر اليوم السابق: «لكهم سيعودون بعد ليلة أو نحوها». وأردف: «سوف يعودون، وسوف يعود الصياد أيضاً. وإذا رأني مرة أخرى هنا؛ فسيطلق النار على ليقد فعلت كل ما يُوسعني. على أي حال، لا بد أن داسكي يمتلك ما يكفي من التعقل لأن يرتاب في هذا المكان بعد ذلك التحذير. من هذا؟ أعتقد أنه ابن المزارع براون. أتمنى لو يأتي إلى هنا. إذا عرف بأمر هذا الصياد، فربما يفعل شيئاً لإبعاده عن هنا. سأرى إن كنت أستطيع أن استدعيه إلى هنا».

بدأ بلاكي في الصياغ كاما يفعل عندما يكتشف شيئاً ويرغب في إخبار الآخرين به. فقد صاح كما لو كان يشعر بإثارة باللغة: «كاو كاو كاو كاو كاو!»

لَمْ يَكُنْ لَدَى ابْنِ الْمُزَارِعِ بِراوْنَ مَا يَقْعُلُهُ هَذَا الصَّبَاحَ؛ لِذَى حَرَجَ لِلْمُشْتِيِّ فِي الْمُرْوِجِ الْخَضْرَاءِ، أَمْلَأَ فِي رُؤْيَةِ بَعْضِ أَصْبَاقِهِ نَوْيَ الرِّيشِ وَالْفَرَاءِ. وَسَمِعَ صَيْحَاتِ بِلَاكِي الْمَلِيَّةَ بِالْحَمَاسِ؛ فَسَلَكَ ذَلِكَ الِاتِّجَاهَ عَلَى الْفَوْرِ.

حَدَثَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراوْنَ نَفْسَهُ قَائِلًا: «لَقَدْ اكْتَشَفَ الْوَغْدُ الْأَسْوَدُ شَيْئًا عَلَى صِفَةِ النَّهَرِ الْكَبِيرِ. سَوْفَ أَذْهَبُ هُنَاكَ لِأَسْتَطْلِعَ الْأَمْرَ، فَلَا يُوجَدُ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ عَيْنِي هَذَا الْغُرَابُ الْفُضُولِيُّ الْأَسْوَدُ التَّأْقِبَتَيْنِ». لَقَدْ قَادَنِي إِلَى الْكُثُّيْرِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُثِيرَةِ، مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى. هَا هُوَ هُنَاكَ عَلَى قِمَّةِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ عِنْدَ النَّهَرِ الْكَبِيرِ».

عِنْدَمَا اقْتَرَبَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراوْنَ، طَارَ بِلَاكِي وَاخْتَفَى أَسْفَلَ صِفَةِ النَّهَرِ. فَضَحِكَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراوْنَ وَتَمَّمَ: «أَيَّا كَانَ الشَّيْءُ، فَهُوَ هُنَاكَ بِالْأَسْفَلِ».

تُمَّ تَقْدَمْ مُسْرِعًا وَلَكِنْ فِي هُدُوءٍ، وَسُرْعَانَ مَا وَصَلَ إِلَى حَافَةِ الصِّفَةِ. فَطَارَ بِلَاكِي إِلَى أَعْلَى وَهُوَ يَنْعِقُ بِإِهْتِيَاجِ مُنْتَاهِرًا بِالْفَرْغِ؛ فَضَحِكَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراوْنَ مَرَّةً أُخْرَى وَقَالَ: «إِنَّكَ تَتَظَاهِرُ، تُحَاوِلُ التَّظَاهِرَ بِإِنَّنِي فَاجَأْتُكَ، بَيْنَمَا كُنْتَ تَعْلَمُ طَوَالَ الْوَقْتِ أَنِّي قَادِمٌ وَكُنْتَ تَتَنَظَّرُنِي. مَاذَا وَجَدْتَ هُنَاءً؟»

جَالَ بِبَصِيرَهِ فِي الشَّاطِئِ بِلَهْفَةٍ، وَمَا لَبِثَ أَنْ رَأَى صَفَّا مِنَ الشُّجَيرَاتِ الْقَصِيرَةِ بِالْقُرْبِ مِنْ حَافَةِ الْمَاءِ؛ فَعَلَمَ مَا هِيَ عَلَى الْفَوْرِ. وَصَاحَ: «مَخْبَا لِصَيْدِ الْبَطِّ! لَقَدْ بَنَى أَحَدُ الصَّيَّادِينَ مَخْبَا هُنَا يُمْكِنُهُ صَيْدُ الْبَطِّ مِنْهُ. يَا تُرَى هَلْ اصْطَادَ مِنْهُ فِعْلًا؟ أَتَمَّنَى أَلَا يَكُونَ قَدْ فَعَلَ».

نَزَلَ إِلَى الْمَخْبَا وَتَفَقَّدَهُ. وَلَمَحْتُ عَيْنَاهُ حَبَّةً ذُرَّةً دَاخِلَ الْمَخْبَا، فَعَبَسَ وَجْهُهُ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «ذَاكَ الرَّجُلُ يَسْتَدِرُجُ الْبَطَّ، فَقَدْ كَانَ يَنْتَرُ الذُرَّةَ لِيَجْعَلَهُ يَأْتِي إِلَى هُنَا بِإِنْتَظَامٍ. يَا إِلَهِي! كَمْ أَكْرَهُ ذَلِكَ! إِنَّ صَيْدَ الْبَطِّ دُونَ خِدَاعٍ أَمْرُ سَيِّئٍ فِي حَدِّ ذَاتِهِ، وَلَكِنْ إِطْعَامُهُ تُمَّ قَتْلَهُ ... أَفَ! يَا تُرَى هَلْ اصْطَادَ أَيَّا مِنْهُ؟!»

نَظَرَ حَوْلَهُ مُنَامًّا، ثُمَّ صَفَا وَجْهُهُ؛ فَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ اصْطَادَ أَيَّ بَطًّا، لَوْجَدَ رِيشًا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فِي الْمَخْبَا، وَهُوَ لَمْ يَجِدْ أَيَّ رِيشًا.

الفصل الرابع والعشرون

ابن المزارع براون يُفكِّر

جلس ابن المزارع براون على صفة النهر الكبير يُفكِّر ملياً: أي إنه استغرق في التفكير. وجلس بلاكي على قمة شجرة عالية على مسافة قريبة منه وراح يُراقبه. كان بلاكي صامتاً آذناً، وقد لاحظ نظرة فهم في عينيه الصغيرتين الفطنتين. فباستدعايه ابن المزارع براون إلى هذا المكان، كان قد فعل كلَّ ما بوسعه، وكان راضياً إلى حدٍ كبيرٍ عن ترك الأمر له.

قال ابن المزارع براون في نفسه: «بني أحد الصيادين هذا المخبأ لكي يصيد البط الأسود منه، واستدرجه إلى هنا بثُر الذرة له. وإن البط الأسود من ذكرى أنواع البط الطائر، ولكنَّه إذا كان يأتي إلى هنا كُلَّ مساءً ويجد الذرة ولا يوجد ما يُنذر بالخطر، فسيعتقد على الأغلب أنَّ هذا المكان آمنٌ ويأتي مباشرة إليه دون آذني شك. وللليلة – أو ليلة أخرى عما قريب – سيكون الصياد في انتظاره.

اعتقد أنَّ القانون الذي يسمح بصيد البط لا يأس به، ولكن لا بد من وجود قانون يمنع استدرجاته بالطعام. ليس هذا صيداً، بل ليس صيداً. لو كانت هذه الأرض ملكاً لأبي، لعرفت كيف أتصرَّف. كنت سأضع لوحَةً مكتوبَاً عليها: إنَّ هذه الأرض ملكيَّة خاصة ولا يسمح بالصيد فيها. ولكنَّها ليست ملكاً لأبي، وللهذا الصياد كُلُّ الحق في الصيد هنا. له حق التواجد هنا مثلي تماماً. لينتني أستطيع أنْ أمنعه، ولكنَّي لا أعلم كيف أفعل ذلك.»

عَبَسَ وَجْهُ ابْنِ الْمُزَارِعِ بِراونِ الْمَلِيءِ بِالنَّمْشِ؛ فَقَدْ كَانَ يُفَكِّرُ بِتَرْكِيزٍ شَدِيدٍ، وَعِنْدَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ عَادَةً مَا يَعْبُسُ.

وَعَمَّمَ: «أَظُنُّ أَنِّي يُمْكِنُنِي هَذُمُ هَذَا الْمُحْبَأِ، وَلَنْ يَعْلَمَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ. وَلَكِنَّ هَذَا لَنْ يُحِدِّثَ فَارقاً كَبِيرًا؛ فَسَوْفَ يَبْيَنِي مَحْبِأً آخَرَ، عِلَوةً عَلَى ذَلِكَ، لَنْ يَكُونَ ذَلِكَ تَصْرُفًا سَلِيمًا. فَإِنَّ لَهُ كُلُّ الْحَقِّ فِي بَنَاءِ مَحْبَأً هُنَا، وَقَدْ بَنَاهُ. إِنَّهُ مُلْكُه وَلَيْسَ مِنْ حَقِّي أَنْ أَمْسَأُ. لَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا لَا يَحْقُقُ لِي فَعْلَهُ؛ فَذَلِكَ لَيْسَ مِنَ النَّزاَهَةِ فِي شَيْءٍ. عَلَيَّ أَنْ أُفْكِرَ فِي طَرِيقَةٍ أُخْرَى لِإنْقَاذِ ذَلِكَ الْبَطْ».

رَأَدَ وَجْهُهُ عُبُوسًا وَجَلَسَ فَتْرَةً طَوِيلَةً دُونَ حَرَاكٍ. فَجَاءَ صَفَا وَجْهُهُ، وَهَبَ وَاقِفًا. وَبَدَا فِي الضَّاحِكِ قَائِلًا: «وَجَدْتُهَا! سَوْفَ أَطْلُقُ النَّارَ أَنَا أَيْضًا! ثُمَّ ضَحِكَ مَرَّةً أُخْرَى وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَنْزِلِ، وَسُرْعَانَ مَا بَدَا يُصَافِرُ بِالطَّرِيقَةِ ذَاتِهَا الَّتِي يُصَافِرُ بِهَا عِنْدَمَا يَكُونُ سَعِيدًا».

شَاهَدَهُ بِلَاكِي يَمْضِي فِي طَرِيقَهِ، وَشَعَرَ بِالرِّضَا التَّامِ. لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَا يُخَطِّطُ لَهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراونِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَشْعُرُ أَنَّهُ يُخَطِّطُ لِشَيْءٍ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سَيَصِيرُ عَلَى مَا يُرَامُ. زِيَّمَا لَمْ يَكُنْ بِلَاكِي سَيَشْعُرُ بِتِلْكَ الشُّفَقَ لَوْ كَانَ بَاسِطًا عَلَيْهِ فَهُمْ مَا قَالَهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراونِ بِشَأنِ إِطْلَاقِ النَّارِ بِنَفْسِهِ.

مَضَى بِلَاكِي فِي سَبِيلِهِ، وَقَدْ رَضِيَ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سَيَصِيرُ عَلَى مَا يُرَامُ، وَلَمْ يَعُدْ يَهِي حاجَةً لِلْفَاقِقِ عَلَى ذَلِكَ الْبَطْ. فَلَا يُوجَدُ بَيْنَ سُكَّانِ الْغَائِبَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرْوِجِ الْخَضْرَاءِ الصَّعَارِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِابْنِ الْمُزَارِعِ بِراونِ مِنَ الْغَرَابِ بِلَاكِي. وَهُوَ حَيْرٌ مَنْ يَعْلَمُ أَنْ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراونِ هُوَ أَفْضَلُ صَدِيقٍ لَهُمْ.

قَالَ بِلَاكِي ضَاحِكًا: «كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ الْآنَ، كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ». وَعِنْدَمَا سَمِعَ صَفِيرَ ابْنِ الْمُزَارِعِ بِراونِ الْمُبْتَهِجِ تَحْمِلُهُ النَّسْمَاتُ الرَّقِيقَةُ الْمِرَاحَةُ، كَرَرَ قُولَهُ: «كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ الْآنَ».

الفصل الخامس والعشرون

صَدَمَةُ شَدِيدَةٍ

عِنْدَمَا يَخُونُ الصَّدِيقُ، بِمَنْ تَتَقْرِبُ؟
تَرَى بِرَاعِمِ الثَّقَةِ تَفَتَّتْ.

الغراب بلاكي

كان بلاكي واقفا على قمة شجرته المفضلة بالقرب من النهر الكبير مبكراً عصر هذا اليوم. لم يكن يعرف ما سوف يحدث، ولكن شعر في أعماقه بأن شيئاً ما سيحدث، وقرر أن يكون حاضراً ليعرف. جلس في ذلك المكان طويلاً دون أن يرى شيئاً حارجاً عن المألوف. وفي النهاية لمح على بعد حيالاً ضئيلاً عبر المروج الخضراء، وحتى من هذه المسافة كان يعرف من هو؛ كان ذلك ابن المزارع براون، وكان قادماً نحو النهر الكبير.

قال بلاكي صاحكاً: «كما ظننت بالضبط! إنه قادم ليطرد الصياد من هنا». أخذ الخيال يقترب ويكبر، وتتأكد أنه ابن المزارع براون دون شك. وفجأة، اتسعت عينًا بلاكي عن آخرهما كما لو كانت ستتبان من رأسه. فقد اكتشف أنَّ ابن المزارع براون يحمل شيئاً، وهذا الشيء كان بُنْدِقِيَّا! نعم، كان ابن المزارع براون يحمل بُنْدِقِيَّة رهيبة! لو كان بلاكي قادرًا على فرز عينيه، لفعل، حتى يتأكَّد من سلامتهما. صاح بلاكي: «بُنْدِقِيَّة! ابن المزارع براون يحمل بُنْدِقِيَّة رهيبة! ماذا يعني ذلك؟»

اقترب ابن المزارع براون أكثر، فصار بإمكان بلاكي رؤية البندقية الرهيبة بوضوح. وفجأة طرأ على ذهنه فكرة: «ربما يكون ذاهباً لإطلاق النار على الصياد!» وحينها شعر ببعض الارتياب.

وصل ابن المزارع براون إلى نقطه غير بعيدة عن المخبأ الذي بناه الصياد، ووضع بندقيته على صفة النهر ونزل إلى حافة الماء. كانت تباتات السمّار تنمو بكتافة في تلك المنطقة، وظل ابن المزارع براون مشغولاً فتره بينها. كان بإمكان بلاكي رؤيته من موقعه، وإن أحد يراقبه، كانت حيرته في ازدياد. بدا الأمر كما لو أن ابن المزارع براون يبني مخبأً كمخابئ الصياد تماماً. وفي النهاية أخذ قطعة حش قديمة إلى هناك، وأحضر بندقيته وجلس في ذلك المكان كما فعل الصياد في مخبئه عصر اليوم السابق. كان من الصعب رؤيتها وهو في هذا المخبأ، إلا من مكان غالٍ كمكان بلاكي.

شهق بلاكي وقال: «أنا ... أنا ... أنا أطئن سيطلاق النار على البطل بنفسه! لم أكن لأصدق لو أن أحد هم أخبرني بذلك. لا لم أكن لأصدق. أنا ... أنا لا أستطيع أن أصدق ذلك لأن ابن المزارع يصطاد بندقية رهيبة! ولكن يجب أن أصدق عيني».

لفت انتباهه ضوضاء صادرة من أعلى النهر، كانت ضوضاء سببها مجدافاً قارب، وكان فيه صياد يجذف بقاربه في النهر الكبير، وتاماً كما فعل في اليوم السابق، ترجل على الشاطئ عند المخبأ ونزل إليه مشياً.

تمتم بلاكي: «هذا المكان ليس مناسباً لي؛ فسوف يتذكر أنني أخذت البطل البارحة، وعلى الأغلب سيحاول إصا بي».

بسط بلاكي جناحيه الأسودين وطار من على قمة الشجرة سريعاً، وتو杰ه إلى شجرة أخرى وراءها بمسافة في المروج الخضراء حيث سيكون بامان أكبر، ولكنه لن يستطيع أن يرى أيضاً. فجلس هناك حتى نبهته الظلال السوداء إلى أنه قد حان وقت العودة إلى الغابة الخضراء.

كان عليه أن يسرع؛ فقد تأخر عن المعتاب، وكان خائفاً من البقاء خارج المنزل بعد حلول الظلام. وبمجرد أن وصل إلى الغابة الخضراء، سمع صوت إطلاق نيران خافتًا

مِنْ نَاحِيَّةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ صَابِرٌ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَبِئُ فِيهِ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراونِ
بَيْنَ نَبَاتَيِ السَّمَارِ.

صَرَخَ بلاكي: «إِنَّهَا الْحِقِيقَةُ إِذْنُ! لَقَدْ تَحَوَّلَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراونِ إِلَى صَيَادٍ». كَانَتْ
صَدْمَةً شَدِيدَةً عَلَى بلاكي حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَمْكُرْ إِلَّا بَعْدَ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ.

الفصل السادس والعشرون

لَمَّا دَلَّ مِنْ يَصْطَدِ الصَّيَادُ أَيْ بَطَّاتٍ؟

رأى الصياد الذي جاء عن طريق النهر الكبير في قارب ورسا بالقرب من المكان الذي كان داسكي ويرببه يجدون فيه الذرة الصفراء اللذيذة منتشرة بين النباتات ليلاً بعد ليلة؛ الغراب بلاكي يغادر قمة أحدى الأشجار عندما اقترب من المكان.

قال الصياد: «خير لك أنك لم تنتظرا اقترابي أكثر من ذلك. فأنت ذكي بما يكفي لأنك تعرف أنك لا يمكنك أن تخدعني الخدعة نفسها مررتين. لقد أحضرت البطة الليلية البارحة، ولكن إذا حاولت ذلك مرة أخرى، فسوف أطلق عليك النار دون تردد». ثم ذهب الصياد إلى المخبأ الذي بناه من الشجيرات ونباتات السمّار، وربض خلفه حاملاً بندقينه الرهيبة، مُنتظراً ومترقباً وصول داسكي ورببه.

تدكرون أن ابن المزارع براون كان مختبئاً آذاكاً على مسافةً أبعد على شاطئ النهر الكبير، في المخبأ الذي بناه عصر ذلك اليوم. ولم ير الصياد مطلقاً. لم يكن لديه أدنى فكرة عن وجود شخص آخر في الجوار. فكر الصياد قائلاً: «أما وقد تخلصت من ذلك الغراب، أعتقد أنني سأصطاد بعضاً البطة الليلية». ونظر إلى بندقيته للتاكيد من أنها جاهزة. في الغرب، كان قرص الشمس الأحمر المستدير المرح قد استعد للذهاب إلى التوم خلف التلال الأرجوانية، وبذلت الظلال السوداء تزحف على الأحياء. ومن مسافة بعيدة أسلف النهر الكبير، رأى الصياد خطأً أسود يتحرّك بسرعة فوق سطح الماء مباشرةً، فتمتم قائلاً: «ها هو قادماً» بينما راح يراقب اقتراب هذا الخط الأسود بلهفة. دارت البطاطس السوداء مررتين فوق النهر الكبير في الجهة المقابلة للمكان الذي كان يربض فيه الصياد في مخبئه. كان واضحاً أن قائدتها داسكي تذكر تحذير بلاكي في

اللَّيْلَةِ السَّاِيَقَةِ. وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ شَمَّةٌ تَحْذِيرٌ هَذِهِ الْمَرَّةِ. وَبَدَا كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَادُ. دَارَ السُّرْبُ مَرَّةً أُخْرَى ثُمَّ تَوَجَّهَ مُبَاشِرًا نَحْوَ الْمَكَانِ الَّذِي يَأْمُلُ أَنْ يَجِدَ فِيهِ الْمُزِيدَ مِنْ حُبُوبِ الدُّرَّةِ. فَانْحَنَى الصَّيَادُ لِأَسْفَلَ أَكْثَرَ كَادَ السُّرْبُ يَكُونُ فِي مَرْمَى نِيرَانِ بُنْدُقِيَّتِهِ عِنْدَمَا دَوَى صَوْتُ إِطْلَاقِ نِيرَانٍ عَلَى مَقْرِبَةِ.

عَلَى الْفَوْرِ اسْتَدَارَ دَاسِكِيٌّ وَالسُّرْبُ وَرَفَرَفُوا بِأَجْنِحَتِهِمْ بِسُرْعَةٍ مُحَلِّقِينَ نَاحِيَةً أَعْلَى النَّهَرِ. شَعَرَ الصَّيَادُ بِإِحْبَاطٍ بِالْغِيلِ. وَتَنَمَّ قَائِلًا: «شَمَّةٌ صَيَادٌ أَخْرُ، وَقَدْ أَضَاعَ عَلَيَّ فُرْصَتِي هَذِهِ الْمَرَّةِ. لَا بُدَّ أَنَّ لَدِيهِ مَخْبَأً بِالْقُرْبِ مِنْ هُنَا. وَرُبَّمَا أَتَى إِلَيْهِ بَعْضُ الْبَطْ وَلَمْ أَرُهُ. يَا تُرَى هَلْ اصْطَادَهُ؟ أَمْلُ أَنْ يَأْتِيَ هَذَا السُّرْبُ إِلَى هُنَا أَوْلًَا فِي الْمَرَّةِ الْمُقْبَلَةِ؟»

عَادَ الصَّيَادُ إِلَى وَضِعِهِ السَّاِيِقِ مَرَّةً أُخْرَى، وَاسْتَقَرَّ فِي مَكَانِهِ اسْتِدَادًا لِفَتْرَةِ انتِظَارٍ طَوِيلَةٍ. تَسَلَّلَتِ الظِّلَالُ السَّوْدَاءُ مِنَ الضَّفَةِ الْبَعِيَّةِ لِلنَّهَرِ الْكَبِيرِ؛ فَقَدْ كَانَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ الْمِرْحُ قَدْ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، وَسَطَعَتْ أَوْلَى نَجْمَةٍ صَغِيرَةٍ عَالِيَّةً فِي السَّمَاءِ. كَانَ الْمَكَانُ سَاكِنًا وَهَادِئًا. ثُمَّ جَاءَ صَوْتُ بَطَةٍ حَفِيْضُ مِنْ وَسْطِ النَّهَرِ الْكَبِيرِ؛ فَقَدْ كَانَ دَاسِكِيٌّ وَسِرْبِيٌّ آتِينِ سِبَاخَةً آنَذَاكَ. وَسُرْعَانَ مَا اسْتَطَاعَ الصَّيَادُ رُؤْيَةً خَطًّا فِي عَالَى الْمَاءِ، وَبَعْدَهَا مَيَّزَ تِسْعَ بُقْعَ سَوْدَاءَ. وَفِي غُصُونِ دَقَائِقٍ قَلِيلَةٍ، كَادَتْ تِلْكَ الْبَطَاتُ تَصِيرُ فِي مَرْمَى نِيرَانِ بُنْدُقِيَّتِهِ.

دَوَى صَوْتُ إِطْلَاقِ النَّارِ مَرَّةً أُخْرَى مِنَ الْبُنْدُقِيَّةِ الْقَرِيبَةِ مِنْهُ، فَرَفَرَفَ دَاسِكِيٌّ وَسِرْبِيٌّ بِأَجْنِحَتِهِمْ فِي صَبَبٍ وَطَارُوا بَعِيْداً. وَقَفَ الصَّيَادُ وَقَالَ شَيْئًا غَيْرَ مُهَذِّبٍ. فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الْبَطَ لَنْ يَعُودَ مَرَّةً أُخْرَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَأَنَّهُ سَيَعُودُ إِلَى الْمَنْزِلِ مَرَّةً أُخْرَى خَالِيَ الْوَقَاضِينَ. وَلَكِنَّهُ قَرَرَ أَنْ يَذَهَبَ أَوْلَى لِمَعْرِفَةٍ مِنْ هُوَ الصَّيَادُ الْأَخْرُ وَإِنَّا كَانَ قَدْ حَالَفَهُ الْحَاطُّ فِي صَيْدِهِ؛ لِذَلِكَ مَشَى عَلَى الشَّاطِئِ نَحْوَ الْمَكَانِ الَّذِي بَدَا صَوْتُ الْبُنْدُقِيَّةِ صَادِرًا مِنْهُ، وَوَجَدَ مَخْبَأً أَبْنَ الْمُزَارِعِ بِرَاوِنَ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ أَحَدٌ؛ فَقَدْ انْسَلَ أَبْنَ الْمُزَارِعِ بِرَاوِنَ مِنْ مَخْبَيِهِ وَغَادَرَ الْمَكَانَ بِمُجَرَّدِ أَنْ أَطْلَقَ النَّارَ مِنْ بُنْدُقِيَّتِهِ آخِرَ مَرَّةٍ. وَبَيْنَمَا كَانَ يَمْشِي عَبْرَ الْمُرْوِجِ الْخَضْرَاءِ فِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ إِلَى الْمَنْزِلِ حَامِلًا بُنْدُقِيَّتِهِ، كَانَ يَضْحَكُ قَائِلًا: «لَمْ يَضْطَدِ تِلْكَ الْبَطَاتِ هَذِهِ الْمَرَّةَ».

الفصل السابع والعشرون

الصَّيَادُ يَسْتَسِلُّمُ

كَانَ الْفُرَابُ بِلَاكِي فِي حَيْثِهِ مِنْ أَمْرِهِ. فَلَمْ يُكُنْ يَسْتَطِعْ إِقْنَاعَ نَفْسِهِ بِأَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ بِراونَ تَحَوَّلَ إِلَى صَيَادٍ، وَلَكِنْ مَاذَا كَانَ عَسَاهُ أَنْ يُصَدِّقَ عَيْرَ ذَلِكَ؟ أَلَّمْ يَرَ ابْنَ الْمُزَارِعِ بِراونَ يَأْتِيَ عَيْنِهِ يَحْمِلُ بُنْدِقِيَّةَ الرَّهِيبَةِ وَيَخْتَبِئُ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ مُنْتَظِرًا وُصُولَ دَاسِكِيَّ وَسَرِبِيهِ؟ أَلَّمْ يَسْمَعْ بِاِذْنِيَّهِ صَوْتَ إِطْلَاقِ النَّارِ مِنْ هَذِهِ الْبُنْدُقِيَّةِ؟

كَانَ أَوَّلُ مَا فَعَلَهُ بِلَاكِي صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِي هُوَ الْذَّهَابُ مُسْرِعًا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يَخْتَبِئُ فِيهِ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراونَ بَيْنَ النَّبَاتَاتِ. وَبِنَظَرِهِ الْحَادُّ بَحَثَ عَنِ الرَّئِشِ الَّذِي يَدْلُلُ عَلَى مَقْتَلِ الْبَطْ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ رِيشًا. لَمْ يَجِدْ أَيِّ شَيْءٍ يَدْلُلُ عَلَى حُدُوثِ مِثْلِ ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُخِيفِ. رُبَّمَا لَمْ يُصِبِّ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراونَ هَدْفَهُ عِنْدَمَا أَطْلَقَ النَّيْرانَ عَلَى الْبَطْ. هَذِهِ بِلَاكِي رَأْسُهُ وَقَرَرَ أَلَا يُخْبِرَ أَحَدًا عَنِ ابْنِ الْمُزَارِعِ بِراونَ وَتَلْكَ الْبُنْدُقِيَّةِ الرَّهِيبَةِ.

طَبْعًا جَاءَ بِلَاكِي مُبَكِّرًا عَصْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَاسْتَقَرَ عَلَى قِمَّةِ شَجَرَتِهِ الْمُفَضَّلَةِ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ. وَحَبَّ أَمْلُهُ — مِثْلًا حَدَثَ عَصْرَ الْيَوْمِ السَّابِقِ — عِنْدَمَا رَأَى ابْنَ الْمُزَارِعِ بِراونَ يَمْشِي حَامِلًا بُنْدِقِيَّةَ الرَّهِيبَةِ عَبْرَ الْمُرْوُجِ الْخَضَرَاءِ مُتَوَجِّهًا إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ. وَعَوْضًا عَنِ الْذَّهَابِ إِلَى الْمَخْبَا نَفْسِهِ، بَتَّ مَخْبَأً جِيدًا بَعْدُ بِقَلِيلٍ.

تُمَّ جَاءَ الصَّيَادُ مُبَكِّرًا قَلِيلًا عَنِ الْمُعْتَادِ، وَعَوْضًا عَنِ التَّوْقُفِ عِنْدَ مَخْبَئِهِ، وَاصْلَمَ الْمَشْيَ مُبَاشِرًا نَحْوَ الْمَخْبَا الَّذِي بَنَاهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراونَ، وَطَبْعًا لَمْ يَجِدْ أَحَدًا هُنَالَّكَ. بَدَا الصَّيَادُ مَسْرُورًا وَمُحْبِطًا فِي نَفْسِ الْوُقْتِ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى مَخْبَئِهِ وَجَلَّسَ. وَبَيْنَمَا كَانَ

يَرْقُبُ قُدُومَ الْبَطْ، أَحَدٌ يُرَاقِبُ الْمَحْبَا الْأُخْرَ أَيْضًا لِيَرَى مَا إِذَا كَانَ الصَّيَادُ اللَّيْلَةَ الْبَارِحةَ الْمَجْهُولُ سَيَظْهُرُ مَرَّةً أُخْرَى. بِالظَّبْعِ لَمْ يَظْهُرْ، وَعِنْدَمَا رَأَى الصَّيَادُ الْبَطْ قَادِمًا أُخْرَى، كَانَ مُتَأْكِدًا مِنْ أَنَّهُ سَيَصْطَادُ بَعْضًا مِنْهُ هَذِهِ الْمَرَّةِ.

لَكِنْ حَدَثَ نَفْسٌ مَا حَدَثَ اللَّيْلَةَ السَّابِقَةَ؛ بِمُجَرَّدِ أَنْ أَصْبَحَ الْبَطُ قَرِيبًا بِمَا يَكُفِي، دَوَى صَوْتٌ إِطْلَاقِ نِيرَانٍ، فَطَارَ الْبَطُ مُبْنِعِدًا. لَمْ يَعُدْ الْبَطُ مَرَّةً أُخْرَى، وَعَادَ الصَّيَادُ حَائِبًا إِلَى مَنْزِلِهِ مَرَّةً أُخْرَى دُونَ اصْطِيَادٍ أَيِّ بَطَاتٍ.

وَعَصَرَ الْيَوْمُ التَّالِي، جَاءَ الصَّيَادُ مُبَكِّرًا لِلْغَایِةِ. وَصَلَ الصَّيَادُ قَبْلَ وُصُولِ ابْنِ الْمُزَارِعِ بِراون، وَعِنْدَمَا أَتَى ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراون، رَأَاهُ الصَّيَادُ طَبْعًا، فَمَشَى الصَّيَادُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَبِي فِيهِ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراون بَيْنَ النَّبَاتَاتِ وَقَالَ: «مَرْحَبًا! هَلْ أَنْتَ الشَّخْصُ الَّذِي كَانَ يُطْلِقُ النَّارَ هُنَا اللَّيْلَةَ الْبَارِحةَ وَاللَّيْلَةَ الَّتِي سَبَقَتْهَا؟»

ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراون ابْتِسَامَةً عَرِيشَةً وَقَالَ: «نَعَمْ.»

سَأَلَ الصَّيَادُ: «وَكَيْفَ كَانَ حَظْكَ؟»

فَرَدَّ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراون: «حَسَنًا.»

فَسَأَلَهُ الصَّيَادُ: «كَمْ اصْطَدْتَ مِنَ الْبَطِ؟»

اَرْدَادَتِ ابْتِسَامَةُ ابْنِ الْمُزَارِعِ بِراون اتَّسَاعًا وَرَدَّ قَائِلًا: «لَمْ اصْطَدْ أَيِّ بَطَاتٍ. أَعْتَقُدُ

أَنِّي لَا أُجِيدُ التَّصْوِيبَ.»

فَتَسَاءَلَ الصَّيَادُ: «مَاذَا تَعْنِي إِذْنَ بِقُولِكَ إِنَّ حَظَكَ كَانَ حَسَنًا؟»

أَجَابَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراون: «أُوْه! كُنْتُ مَحْظُوظًا لِرُؤْيَايِي هَذَا السُّرْبَ مِنَ الْبَطِ

وَاسْتَمْتَعْتُ بِإِطْلَاقِ النَّارِ عَلَيْهِ. ثُمَّ ابْتِسَمَ مَرَّةً أُخْرَى.

نَفَدَ صَبْرُ الصَّيَادِ وَحَاقَلَ أَنْ يَأْمُرَ ابْنَ الْمُزَارِعِ بِراون بِالابْتِعَادِ عَنِ الْمَكَانِ، وَلَكِنْ

ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراون رَدَ بِأَنَّ لَهُ الْحَقُّ فِي التَّوَاجِدِ هُنَاكَ كَمَا يَحْقُقُ لِلصَّيَادِ، وَكَانَ الصَّيَادُ

يَعْلَمُ ذَلِكَ. وَأَخِيرًا، اسْتَسْلَمَ وَعَادَ إِلَى مَحْبِبِهِ مُتَمَمِّمًا فِي غَصَبٍ. وَمَرَّةً أُخْرَى فَزَعَ الْبَطُ عِنْدَ

قُدُومِهِ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنْ جَرَاءِ دَوَيِّ بُنْدُقِيَّةِ ابْنِ الْمُزَارِعِ بِراون، وَوَلَى مُبْنِعِدًا.

عَصَرَ الْيَوْمِ التَّالِي، لَمْ يَأْتِ الصَّيَادُ – وَإِنْ كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراونَ قَدْ أَتَى – وَكَذَلِكَ لَمْ يَأْتِ الْيَوْمِ التَّالِي؛ فَقَدْ عَلِمَ الصَّيَادُ أَنَّ الصَّيْدَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ فِي وُجُودِ ابْنِ الْمُزَارِعِ بِراونَ مَضِيَّةٌ لِلْوَقْتِ.

الفصل الثامن والعشرون

بلاكي يتحاور مع داسكي

لَا تُشْكِ في صَدِيقٍ، وَلَكِنْ حَتَّى النَّهَايَةِ
تَمَسَّكْ بِثَقَتِكَ فِيهِ، وَاحْفَظْهَا بِعِنَايَةٍ.

الْغُرَابُ بلاكي

كُلَّ صَبَاحٍ، كَانَ الْغُرَابُ بلاكي يَزُورُ مِنْطَقَةِ النَّادِيَةِ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ،
آمِلًا فِي أَنْ يَجِدْ داسكي. كَانَ بلاكي قَلِيقاً؛ إِذْ كَانَ يَخْشَى أَنْ يَكُونَ داسكي أَوْ أَحَدُ أَفْرَادِ
سِرْبِيهِ قَدْ قُتِلَ، وَأَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ فَكَمَا تَعْلَمُونَ، كَانَ بلاكي يَعْرُفُ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ بِراون
أَطْلَقَ النِّيَارَ فِي تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ. وَأَخِيرًا، فِي وَقْتٍ مُبِكِّرٍ مِنْ صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ، وَجَدَ داسكي
وَسِرْبِيهِ بَيْنِ نَبَاتَاتِ السَّمَارِ وَالْأَرْزِ الْبَرِّيِّ، فَأَحْصَى عَدَدَهُمْ بِلَهْفَةٍ. كَانُوا تِسْعَةً؛ أَيْ إِنَّهُمْ
لَمْ يَنْقُصُوا أَحَدًا. تَنَاهَدَ بلاكي بِإِرْتِياحٍ وَهَبَطَ عَلَى الشَّاطِئِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ
داسكي غَافِيًّا فِيهِ.

قالَ بلاكي: «مرحباً!»

أَفَاقَ داسكي مَدْعُورًا: «مرحباً بك!»

قالَ بلاكي: «لَقَدْ سَمِعْتُ دَوِيًّا بُنْدُقِيَّةِ رَهِيَّةٍ هُنَا، وَخَفْتُ أَنْ تَكُونَ قَدْ أُصِيبْتَ أَنْتَ
أَوْ أَحَدُ أَفْرَادِ سِرْبِيكَ.»

فرَدَ داسكي: «إِنَّا لَمْ نَفِقْ حَتَّى رِيشَةً وَاحِدَةً. وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ، هَذِهِ الْبُنْدُقِيَّةُ لَمْ تَكُنْ
مُصَوَّبَةً نَحْوَنَا.»

سَأَلَهُ بلاكي: «إِلَى مَنْ كَانَتْ مُصَوَّبَةً إِذْنُ؟»

فَأَجَابَ داسكي: «لَيْسَ لَدَيَ أَذْنَى فِكْرَةً.»

تَسَاءَلَ بلاكي: «هَلْ رَأَيْتَ أَيْ بَطْ آخَرَ فِي الْجِوارِ؟»

فَرَدَّ داسكي سَرِيعًا: «مُطْلَقًا. إِذَا كَانَ ثَمَةَ بَطْ آخَرُ هُنَا، كُنَّا سَنَعْرِفُ.»

فَسَأَلَهُ بلاكي: «هَلْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ عِنْدَمَا أَطْلَقْتِ نِيرَانَ هَذِهِ الْبُنْدُقِيَّةِ الرَّهِيبَةِ كَانَتْ تُوجَدُ بِنْدُقِيَّةُ رَهِيبَةُ أَخْرَى خَلْفَ هَذِهِ الشَّجَرَاتِ مُبَاشِرَةً؟»

هَزَّ داسكي رَأْسَهُ نَافِيًّا وَقَالَ: «لَا، وَلَكِنِي تَعْلَمُ مُنْذَ زَمَنٍ أَنَّهُ أَيْنَمَا تُوجَدُ بِنْدُقِيَّةُ رَهِيبَةٌ، فَعَلَى الْأَعْلَبِ سَيَكُونُ ثَمَةَ بَنَادِقُ أَخْرَى؛ وَلِذَا فَإِنَّتِي عِنْدَمَا سَمِعْتُ دَوِيًّا تِلْكَ الْبُنْدُقِيَّةِ، قُدْتُ يَرْبِي بَعِيدًا عَنْ هَذَا الْمَكَانِ بِسُرْعَةٍ. فَلَمْ تَرَغَبْ فِي الْمُخَاطَرَةِ.»

رَدَّ بلاكي قَائِلًا: «مِنْ حُسْنِ الْحَظْ أَنَّكَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ كَانَ ثَمَةَ صَيَادٍ يَخْتِئُ خَلْفَ هَذِهِ الشَّجَرَاتِ طَوَالَ الْوَقْتِ. لَقَدْ حَذَرْتُكَ مِنْهُ مَرَّةً.»

قَالَ داسكي: «هَذَا يُدْكِنُنِي بِأَنِّي لَمْ أَشْكُرْكَ. كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ شَيْئًا مَا لَيْسَ عَلَى مَا يُرَا، وَلَكِنِي لَمْ أَعْرِفْ مَا هُوَ؛ إِذْنَ، كَانَ صَيَادًا. أَطْنَنِي أَحْسَنْتُ إِذْ انتَهَيْتُ لِتَحْذِيرِكَ.»

فَرَدَّ بلاكي بِتَبَرِّةٍ جَافَةٍ: «أَطْنَنْ ذَلِكَ. هَلْ صِرْتَ تَأْتِي إِلَيْهَا فِي النَّهَارِ عَوْضًا عَنِ الْمَجِيءِ لَيْلًا؟»

رَدَّ داسكي: «لَا، إِنَّنَا تَأْتِي بَعْدَ حُولِ الظَّلَامِ وَنَقْضِي اللَّيْلَ هُنَا، فَنَحْنُ لَا نَحَافُ الصَّيَادِيَّنَ بَعْدَ حُولِ الظَّلَامِ. وَصَرَنَا لَا تَأْتِي إِلَيْهَا حَتَّى وَقْتٌ مُتَأْخِرٍ مِنَ الْمَسَاءِ. وَمُنْذِئٌ لَمْ نَسْمَعْ صَوْتَ أَيِّ بِنْدُقِيَّةٍ.»

ظَلَّ بلاكي يَنْجَادِبُ مَعْهُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ قَلِيلًا، ثُمَّ طَارَ لِلْبَحْثِ عَنْ طَعَامِ الْإِفْطَارِ، وَأَثْنَاءَ طَيَّارِهِ شَعَرَ بِالْبَهْجَةِ تَعْمُرُهُ، وَلَمَعْتِ عَيْنَاهُ الصَّغِيرَاتُانِ الْفُطِنَتَانِ.

وَفَكَرَ قَائِلًا: «مِنَ الْمُفْتَرِضِ أَنْ تَمْنَعَنِي مَعْرِفَتِي الْجَيْدَةِ بِأَبْنِ الْمُزَارِعِ بِراونِ مِنْ مُجَرَّدِ الشَّكِ فِيهِ. أَعْرِفُ الْأَنَّ لِمَاذَا كَانَ يَحْمِلُ تِلْكَ الْبُنْدُقِيَّةِ الرَّهِيبَةِ. كَانَتِ مِنْ أَجْلِ إِخْافَةِ هَذَا السُّرْبِ مِنَ الْبَطْ حَتَّى يَبْتَعِدُ وَلَا يَحْظَى الصَّيَادُ بِفُرْصَةٍ اصْطِبَادٍ أَيِّ مِنْهُ. لَمْ يَكُنْ يُصَوِّبُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ. كَانَ يُطْلُقُ النَّارَ فِي الْهَوَاءِ فَقَطْ مِنْ أَجْلِ إِبْعَادِ الْبَطِّ. أَعْرِفُ ذَلِكَ تَمَامَ الْمَعْرِفَةِ كَمَا لَوْ كُنْتُ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُهُ، لَنْ أَشُكَّ فِي أَبْنِ الْمُزَارِعِ بِراونِ ثَانِيَّةً، وَأَنَا مَسْرُورٌ لِلَّيْلِ لَأَقْلِلِ لَأَحَدٍ شَيْئًا عَنْ رُؤْيَايِّي لَهُ حَامِلًا بِنْدُقِيَّةَ الرَّهِيبَةِ.»

بلاكي يَحَاوِرُ مَعَ داسكي

كَانَ بلاكي مُحِّقاً؛ فَقَدْ فَعَلَ ابْنُ الْمُرَارِ بِراونَ ذَلِكَ حَتَّى يَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ الصَّيَادَ –
الَّذِي اسْتَدْرَجَ الْبَطَّأَ أَوَّلًا بِالذِّرَّةِ الصَّفْرَاءِ الْمَنْثُورَةِ وَسْطًا نِبَاتَاتِ السَّمَارِ أَمَامَ مَخْبِئِهِ –
لَنْ تَتَوَفَّ لَهُ فُرْصَةٌ قَتْلٌ أَيِّ مِنْهُمْ. وَفِي حِينٍ أَنَّهُ بَدَا عَدُوًا، كَانَ فِي الْوَاقِعِ صَدِيقًا لِدا斯基
وَسُرِّيهِ.

الفصل التاسع والعشرون

بلاكي يَجِدُ بَيْضَةً

إن بلاكي مولع بالبيض كما تعلمون، وهو في ذلك يُسلِّهُ غيره من الأشخاص - مثل ابن المزارع براون - إلى حد كبير. ولكن بما أن بلاكي لا يستطيع تربية الدجاج - كما يفعل ابن المزارع براون - فإنه مُجبر على سرقة البيض أو العيش دونه. وإذا أردت الحقيقة الواضحة، أعتقد أن بلاكي ليس مخطئاً كثيراً عندما يصر على أنه ليس لصاً، مثلاً أن ابن المزارع براون ليس لصاً. فبلاكي يقول إن البيض الذي تبيضه الدجاجات يخص الدجاجات، وإنه هو - بلاكي - له نفس الحق فيأخذ البيض كأبن المزارع براون. ولكنه يُغفل تماماً عن حقيقة أن ابن المزارع براون يطعم الدجاج ويأخذ البيض في المقابل. وعلى أية حال، فإن هذا هو ما يقوله ابن المزارع براون، ولكني لا أعلم ما إذا كانت الدجاجات ترى الأمر على هذا النحو أم لا.

لذلك لا يفهم الغراب بلاكي لماذا يتبعي له لا يُسرق بيضة عندما تناح له الفرصة. فهو لا يحظى بفرص كثيرة لسرقة البيض من الدجاجات؛ لأنها تضع بيضها عادةً في حظيرة الدجاج. وبلاكي يمتنع حذره من المخاطرة بالدخول إلى الحظيرة. فالبيض الذي يحصل عليه غالباً ما يكون بيض حيرانه في الغابة الخضراء أو البستان القديم. ولكن في بعض أحيان نادرة تبني بعض الدجاجات الحفناء عشاً خارج الحظيرة، وإذا صادف أن رآها بلاكي، فإن ذلك الوغد الأسود يظل يترقب - في كل لحظة لا ينشغل فيها بحيلة أخرى - فرصة لسرقة بيضة.

يَعْلَمُ بِلَاكِي أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ بِراونَ يَرَاهُ وَغَدَهُ؛ وَلِهَذَا فَإِنَّ بِلَاكِي يَحْذِرُ الاقْتِرَابَ مِنَ الْمُرَارِعِ بِراونَ أَوْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ حَتَّى يَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ أَحَدًا لَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ النَّازَرَ. فَبِلَاكِي يَعْرُفُ تَمَامَ الْمَعْرِفَةِ شَكْلَ الْبُنْدِقِيَّةِ. وَيَعْرُفُ أَيْضًا أَنَّهُ دُونَ الْبُنْدِقِيَّةِ الرَّهِيَّةِ، لَا يُوجَدُ الْكَثِيرُ مِمَّا يُمْكِنُ لِلْمُزَارِعِ بِراونَ أَوْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ أَنْ يَفْعَلُهُ بِهِ؛ لِذَلِكَ فَإِنَّهُ عِنْدَمَا يَرَى الْمُرَارِعِ بِراونَ وَسْطَ حُقُولِهِ، كَثِيرًا مَا يَطِيرُ فَوْقَهُ وَيَصِيحُ: «كَاوْ كَاوْ كَاوْ كَاوا!» بِأَكْثَرِ طَرِيقَةِ مُسْتَفَرَّةٍ، وَيُصْرُ ابْنُ الْمُزَارِعِ بِراونَ عَلَى أَنَّهُ رَأَى بِلَاكِي يَغْمُرُ بِعَيْنِهِ حَيْنَهَا.

وَلِكَنْ بِلَاكِي لَا يَفْعُلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ الْقِبِيلِ بِالْقُرْبِ مِنْ مَبَانِي الْمُزَارِعِ بِراون؛ فَقَدْ تَعْلَمَ أَنَّ الْمَبَانِي بِهَا أَبْوَابٌ وَبَوَافِدٌ، وَيُمْكِنُ إِطْلَاقُ بُنْدِقِيَّةِ رَهِيَّةٍ مِنْ أَحَدِهَا فِي أَيِّ لَحْظَةٍ. وَرَغْمَ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ بِراونَ لَنْ يُحاوِلَ إِيَادَهُ، فَإِنَّ بِلَاكِي حَذَرُ بِطَبْعِهِ وَلَا يَمِيلُ إِلَى الْمُحَاطَرَةِ؛ لِذَلِكَ فَإِنَّهُ عِنْدَمَا يَأْتِي لِلتَّجَسِّسِ حَوْلَ مَنْزِلِ الْمُزَارِعِ بِراونَ وَمَحْرَيِّهِ، يَفْعُلُ ذَلِكَ عِنْدَمَا يَكُونُ مُتَأَكِّدًا تَمَامًا مِنْ عَدَمِ وُجُودِ أَحَدٍ، وَيَفْعُلُ ذَلِكَ بِكُلِّ هُدوءٍ. أَوْلًا يَجْلِسُ عَلَى شَجَرَةِ طَوِيلَةٍ يُمْكِنُهُ مُرَاقِبَةُ مَنْزِلِ الْمُزَارِعِ بِراونَ مِنْهَا، وَعِنْدَمَا يَتَأَكَّدُ تَمَامًا مِنْ خُلُوِّ الظَّرِيقِ، يَطِيرُ إِلَى الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ، وَمِنْ هُنَاكَ يَفْحَصُ مَحْزَنَ الْحُبُوبِ، دُونَ أَنْ يُصِدِّرَ أَيِّ صَوتٍ. وَإِنَّا تَأَكَّدَ مِنْ خُلُوِّ الْمَكَانِ، يَنْزِلُ أَحْيَانًا فِي حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ لِيَتَنَاوِلَ الذَّرَّةَ، إِذَا صَادَفَ أَنْ وَجَدَ أَيًّا مِنْهَا هُنَاكَ.

وَفِي إِحْدَى ثِلَاثَ الْزِيَاراتِ الصَّاصَاتِ، اكْتَشَفَ بِلَاكِي شَيْئًا لَمْ يَسْتَطِعْ نِسْيَانَهُ. كَانَ صُندُوقًا دَاخِلَ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ بِجَوارِ الْبَابِ. وَكَانَ فِي الصُّندُوقِ بَعْضُ الْقَشِّ، وَوَسْطَ هَذَا الْقَشِّ كَانَ بِلَاكِي مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُ رَأَى بَيْضَةً. فِي الْحَقِيقَةِ، كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُ رَأَى بَيْضَتَيْنِ هُنَاكَ. رُبَّما لَمْ يَكُنْ لِي لِاحْظَهُمَا لَوْلَا أَنَّ دَجَاجَةَ قَفَرَتْ مِنْ دَاخِلِ الصُّندُوقِ مُصْدِرَةً ضَجِيجًا عَالِيًّا. لَمْ تَبْدُ حَائِقَةً، وَإِنَّمَا بَدَتْ فَخُورَةً لِلْغَایِةِ. لَمْ يَسْتَطِعْ بِلَاكِي أَنْ يَفْهَمَ مَا هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ تَفْخَرَ بِهِ هَكَذَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَنَظِّرْ حَتَّى يَعْرِفَ؛ فَقَدْ أَصَابَتْهُ الصَّوْضَاءُ الَّتِي أَحْدَثَتْهَا بِالْتَّوْبُرِ. كَانَ يَخْسِي أَنْ تَأْتِي تِلْكَ الصَّوْضَاءَ بِأَحَدٍ لِيَعْرِفَ مَا الْأَمْرُ؛ لِذَلِكَ بَسَطَ جَنَاحِيهِ الْأَسْوَدَيْنِ وَطَارَ بَعِيدًا بِهُدُوءٍ كَمَا جَاءَ بِهُدُوءِهِ.

وَبَيْنَمَا كَانَ يَطِيرُ، رَأَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، فَحِينَمَا كَانَ يَرْتَفِعُ فِي الْهَوَاءِ، اسْتَطَاعَ أَنْ يُمْرِرَ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ الْمَفْتُوحِ بِطَرِيقَةٍ مَكْنَتَهُ مِنْ إِلْقاءِ نَظَرَةٍ حَاطِفَةً دَاخِلَ الصُّندُوقِ،

وَكَانَتْ هَذِهِ النَّظَرَةُ الْخَاطِفَةُ كَافِيَّةً. فَكَمَا تَعْلَمُونَ، إِنَّ عَيْنِي بِلَاكِي تَاقِبَتَانِ. فَقَدْ رَأَى
الْقَشَ فِي الصُّنْدُوقِ وَرَأَى الْبَيْضَاتِينَ وَسُطَّ الْقَشِّ، وَكَانَ هَذَا كَافِيًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ. وَمُنْذُ هَذِهِ
اللَّحْظَةِ بَدَا الْغُرَابُ بِلَاكِي فِي التَّدْبِيرِ وَالتَّحْكِيمِ لِلْحُصُولِ عَلَى بَيْضَةٍ مِّنْهُمَا أَوْ الْإِثْنَتَيْنِ
مَعًا. وَبَدَا لَهُ أَنَّهُ لَمْ يَرْغَبْ فِي شَيْءٍ مِّنْ قَبْلٍ مِّثْلَ رَغْبَتِهِ فِي هَاتَيْنِ الْبَيْضَاتِينِ، وَكَانَ مُتَأَكِّدًا
مِّنْ أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ — وَلَنْ يَسْتَطِعَ أَنْ يَكُونَ — سَعِيدًا حَتَّى يَنْجُحَ فِي الْحُصُولِ عَلَى
واحِدَةٍ.

الفصل الثلاثون

بلاكي يستجتمع شجاعته

«البعيد عن العين بعيد عن القلب». هذا قولٌ تسمّعه كثيراً. ربما يكون سليماً في بعض الأحيان، ولكن في أحيان أخرى يصير أبعد ما يمكن عن الحقيقة، كما في حالة بلاكي؛ فقد القى نظرةً واحدةً خاطفةً على ذلك العرش بجوار الباب في حظيرة دجاج المزارع براون، ولكن تلك النظرة الخاطفة كانت كافية ليري أنه ثمة بيضتان في العرش. ثم عندما طار نحو الغابة الخضراء، كانت هاتان البيضتان بعيدتين عن نظره بالطبع، ولكن هل تعتقد أنهما كانتا بعيدتين عن فكره؟ ليس كثيراً بل أبداً! فالحقيقة أن هاتين البيضتين كانتا تلحان على فكر بلاكي. ولم يستطع أن يفكّر في أي شيء آخر. قطار مُباشرةً إلى شجرة صنوبر عاليّة في مكان منعزل من الغابة الخضراء. فحينما يرغب بلاكي في التفكير أو تدبر حيلته، يذهب إلى تلك الشجرة دون غيرها، ويتوارى بين فروعها الكثيرة عن العيون الفضوليّة، ويجلس فيها بلا حراك تقريباً.

تمّ بلاكي قائلاً: «أريد واحدة من هاتين البيضتين». بينما كان يعتدل في جلسته على جزء معين على فرعٍ بعيدٍ من شجرة الصنوبر العالية. والحقيقة أنه يمكن تسمية هذا الفرع باسم «فرع الحيل»؛ فقد فكر بلاكي في حيلته الشهيرة جمِيعاً ودبرها على فرع الشجرة ذاك. وواصل حديثه قائلاً: «أجل، أريد واحدة من هاتين البيضتين، والهم من ذلك أنني سوف أحصل عليها».

وضيق عينيه ودفع رأسه للخلف وابتلع ريقه بضعة مرات، كما لو كان قد تذوق واحداً منهمما بالفعل.

«إنَّ الْبَيْضَةَ الْوَاحِدَةَ مِنْ تِلْكَ تُسَاوِي عُشًّا مَلِيئًا بِبَيْضٍ عَصْفُورٌ أَبِي الْحَنَاءِ الْوَدُودِ. لَمْ يُحَالِفِنِي الْحَظُّ بِتَدْوِيقِ بَيْضَةٍ نَجَاجَةٍ مُنْذُ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ، وَهَذِهِ هِيَ فُرْصَتِي. أَنَا لَا أُحِبُّ دُخُولَ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ تِلْكَ، رَغْمَ أَنَّ الْعُشَّ بِجَوَارِ الْبَابِ مُبَاشِرَةً. فَالْبَابُ تُثِيرُ رِبَّتِي؛ إِذْ إِنَّهَا كَثِيرًا مَا تَنْغُلُقُ فَجَأًةً. رُبَّمَا أَحَاوَلُ أَنْ أَجْعَلَ الْعُمَّ بِي الْأَبُوسُومُ يُخْرُجُ لِي إِحْدَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ. وَلَكِنَّ هَذِهِ الْخُطَّةَ لَنْ تَنْتَجَ عِنْدَمَا تُمْعَنُ التَّفْكِيرُ فِيهَا، فَإِنَّا لَا أَسْتَطِعُ أَنْ أُثْقَ في الْعُمَّ بِي. فَالْوَعْدُ الْعَجُوزُ مُولَعٌ بِالْبَيْضِ أَيْضًا. رُبَّمَا أَكُونُ مُسْتَعِدًا لِمُشَاطِرَاهَا مَعَهُ، وَلَكِنَّهُ سَيَتَنَاؤِلُ نَصِيبَهُ أَوْلًا، وَأَخْشَى أَنْ يَجِدَ طَعْمَهَا لَذِيَّدًا إِلَى حَدٍ يَجْعَلُهُ يَأْكُلُ النَّصْفَ الْآخَرَ. لَا، عَلَيَّ أَنْ أَحْصُلَ عَلَى إِحْدَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ بِنَفْسِي. إِنَّهَا الطَّرِيقَةُ الْوَحِيدَةُ الْأَكْيَدَةُ لِأَنَّ أَحْصُلُ عَلَيْهَا.»

«عَلَيَّ أَنْ أَتَأَكَّدَ مِنْ عَدِمِ وُجُودِ ابْنِ الْمُزَارِعِ بِراونِ أَوِ الْمُزَارِعِ بِراونِ نَفْسِهِ فِي الْجَوَارِ. مِنَ الْمُفْتَرِضِ أَنْ يَدْهَبَا إِلَى حَقْلِ الْذَرَّةِ عَمَّا قَرِيبٌ. وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ، مَا عَلَيَّ سِوَى أَنْ أَتَحِينَ الْفُرْصَةَ وَأَتَسْلَلَ إِلَى دَاخِلِ الْحَظِيرَةِ. لَنْ يَسْتَغْرِقَ الْأَمْرُ أَكْثَرَ مِنْ ثَانِيَةً. فَلَتَتَحَلَّ بِقَلِيلٍ مِنَ الشَّجَاعَةِ يَا بِلَاكِي، قَلِيلٍ مِنَ الشَّجَاعَةِ فَخَسِبُ! فَلَا يُمْكِنُ الْحُصُولُ عَلَى شَيْءٍ ذِي قِيمَةٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ دُونَ بَعْضِ الْمُخَاطَرَةِ. أَمَّا مَا يَجِبُ فِعْلُهُ فَهُوَ التَّأَكُّدُ مِنْ تَقْلِيلِ نِسْبَةِ الْمُخَاطَرَةِ قَدْرِ الْإِمْكَانِ.»

فرَدَ بِلَاكِي جَنَاحِيهِ وَطَارَ مِنْ عَلَى شَجَرَةِ الصَّنَوِيرِ الْعَالِيَّةِ بِهُدُوءٍ كَمَا هَبَطَ عَلَيْهَا بِهُدُوءٍ، وَتَوَجَّهَ مُبَاشِرَةً إِلَى حَقْلِ الْذَرَّةِ الْخَاصِ بِالْمُزَارِعِ بِراونِ. وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ بِمَا يَكْفِي لِرُؤْيَةِ الْحَقْلِ بِأَكْمَلِهِ، نَزَلَ لِيَقْفَ عَلَى عَمُودِ سِيَاجٍ، وَانتَظَرَ هُنَاكَ. لَمْ يَتَنَظِّرْ بِلَاكِي طَوِيلًا؛ فَفِي الْوَاقِعِ، لَمْ تَمْضِ إِلَّا دَقَائِقٌ حَتَّى لَمَحَ شَخْصَيْنِ قَادِمَيْنِ عَلَى الطَّرِيقِ الطَّوِيلِ فِي اتِّجَاهِ حَقْلِ الْذَرَّةِ. نَظَرَ إِلَيْهِمَا بِتَمَّعِنٍ وَتَنَاهَى بِرِضاً. كَانَا هُمَا الْمُزَارِعِ بِراونِ وَابْنُهُ. وَسُرْعَانَ مَا وَصَلَا إِلَى حَقْلِ الْذَرَّةِ وَدَخَلَاهُ. ثُمَّ بَدَا الْعَمَلُ، وَعَلِمَ بِلَاكِي أَنَّهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا، فَإِنَّ طَرِيقَهُ نَحْوَ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ حَالٍ.

لَمْ يَطِرْ بِلَاكِي إِلَى الْحَظِيرَةِ مُبَاشِرًا! لَا، فَهُوَ أَذْكَى مِنْ ذَلِكَ. فَقَدْ طَارَ نَحْوَ الْغَایَةِ الْخَضْرَاءِ. وَعِنْدَمَا عَلِمَ أَنَّهُ بِعِيْدُ عَنْ أَنْظَارِ مَنْ بِحَقْلِ الْذَرَّةِ، اسْتَدَارَ وَطَارَ نَحْوَ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ، وَمِنْ أَعْلَى إِحْدَى أَشْجَارِ التُّفَاحِ الْمُعْمَرَةِ، رَاحَ يُرَاقبُ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ وَالْفِنَاءِ

وَمَنْزِلَ الْمُزَارِعِ براون وَمَخْرَنَ الْحُبُوبِ مُتَمَمِّعًا؛ لِكَيْ يَتَأَكَّدَ تَمَامًا مِنْ عَدَمِ وُجُودِ أَيِّ خَطَرٍ فِي الْجِوارِ. وَعِنْدَمَا تَأَكَّدَ تَمَامًا، طَارَ بِهُدُوءٍ شَدِيدٍ إِلَى حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ كَمَا فَعَلَ مَرَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنْ قَبْلُ. وَتَظَاهَرَ بِأَنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ حُبُوبٍ ذُرَّةٍ مَمْتُورَةٍ، وَلِكَنَّهُ طَوالَ الْوَقْتِ كَانَ يَقْرِبُ شَيْئًا فَشَيْئًا مِنْ بَابِ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ الْمَفْتُوحِ. وَأَخِيرًا، اسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى الصُّنْدُوقَ ذَا الْقَشِّ. مَشَى نَحْوَ الْبَابِ الْمَفْتُوحِ مُبَاشِرًا وَنَظَرَ إِلَى الدَّاخِلِ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا جَدِيدًا بِالْخَوْفِ. رَغْمَ ذَلِكَ، كَانَ مُتَرْدِدًا. كَانَ يَكُرِهُ الدُّخُولَ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ وَلَوْ لِدَقْيَةٍ، وَهَذَا هُوَ مَا سَيَسْتَغْرِقُهُ الطَّيْرَانُ إِلَى ذَلِكَ الْعُشِّ وَالْحُصُولُ عَلَى إِحدَى الْبَيْضَتَيْنِ، أَغْمَضَ بلاكي عَيْنَيْهِ لِثَانِيَةٍ، وَعِنْدَهَا بَدَا أَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ يَتَنَازَلُ إِحدَى الْبَيْضَتَيْنِ، وَتَمَمَّ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ قَائِلًا: «مِمَّ تَحَافُ؟» ثُمَّ نَظَرَ سَرِيعًا فِي كُلِّ الْإِلَاتِجَاهَاتِ وَطَارَ إِلَى حَافَةِ الصُّنْدُوقِ. وَوَجَدَ هُنَالِكَ الْبَيْضَتَيْنِ!

الفصل الحادي والثلاثون

بَيْضَةُ سَيِّئَةِ السُّلُوكِ

إِنَّا كَانَ لَدَيْكَ بَيْضَةُ سَيِّئٌ سُلُوكُهَا،
فَمَاذَا عَسَاكَ أَنْ تَقْعَلَ بِهَا؟
فَإِقْنَاعُ بَيْضَةٍ يِقْعُلُ مَا لَا تُرِيدُ
يَبْدُو لِي صَعْبًا بِالْتَّأْكِيدِ.

كُلُّ ذِكْرٍ مَحْسُنٌ هُرَاءٌ بِالظَّابِعِ. فَمَنْ سَمِعَ مِنْ قَبْلِ عَنْ بَيْضَةٍ سُلُوكُهَا حَسَنٌ أَوْ سَيِّئٌ؟ لَا
أَحَدَ حَسَنًا، لَا أَحَدَ أَعْرَفُهُ إِلَّا بلاكي. وَمَنْ الأَفْضَلُ أَلَا تَذَكُّرُ الْبَيْضِ فِي حُضُورِ بلاكي هَذِهِ
الْأَيَّامِ. فَهُوَ مَوْضُوعٌ مُحَرَّمٌ فِي حُضُورِهِ؛ فَبِلاكي عَادَةً مَا يَسْتَأْتِي قَلِيلًا بِمُحَرَّدٍ ذِكْرُ الْبَيْضِ.
لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَلْوَمَهُ. كَيْفَ كُنْتَ سَتَشْعُرُ لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ أَمْرٍ مَا،
ثُمَّ اكْتَشَفْتَ أَنَّكَ لَا تَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا عَلَى الإِطْلَاقِ؟ هَذَا هُوَ مَا حَدَثَ مَعَ الغَرَابِ بلاكي.
فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ لِبِلاكي إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الْبَيْضِ، لَصَاحِبِكَ بلاكي مِنْهُ؛
أَلَمْ يَخْرُجْ بلاكي أَصْلًا مِنْ بَيْضَةٍ؟ أَوْ لَمْ يَكُنْ — مُنْذُ أَنْ كَبَرَ — يَصْطَادُ الْبَيْضَ وَيَسْرِقُهُ
وَيَأْكُلُهُ؟ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الْبَيْضِ، فَمَنِ الَّذِي يَعْرِفُ؟ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ كَانَ
سَيِّرُدُ قَبْلَ أَنْ يَزُورَ حَظِيرَةَ دَجَاجِ الْمُزَارِعِ بِراونِ. وَمُنْذُ تِلْكَ الرِّيَارِدَةِ، أَصْبَحَ مِنْ غَيْرِ
الْحِكْمَةِ أَنْ يُذَكِّرُ الْبَيْضُ أَمَامَهُ.

عِنْدَمَا رَأَى بلاكي الْبَيْضَتَيْنِ فِي الْعُشِّ الْمُوْجُودِ فِي حَظِيرَةِ دَجَاجِ الْمُزَارِعِ بِراونِ،
لَكَمْ تَنَزَّنَ بلاكي لَوْ يَسْتَطِيعُ أَخْذَ كِلْتَيْهُمَا. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ. كَانَ كُلُّ مَا يَسْتَطِيعُ أَخْذَهُ
هُوَ بَيْضَةٌ وَاحِدَةٌ. كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَخْتَارَ وَيَدْهَبَ قَبْلَ فَوَاتِ الْأُوْانِ؛ أَيْهُمَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْخُذَهُ؟

كثِيرًا مَا يَحْدُثُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ أَنَّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَبْدُو غَيْرَ مُهْمَةٍ – التَّافِهَةَ فِي حَدَّ ذَاتِهَا – يَشْبُثُ أَنَّهَا عَكْسُ ذَلِكَ تَمَامًا؛ فَفِي رَأْيِ بِلَاكِي، لَمْ يَكُنْ ثَمَةَ فَرْقٌ بَيْنَ الْبَيْضَتَيْنِ، مَا عَدَا أَنَّ إِحْدَاهُمَا كَانَتْ أَكْبَرَ مِنَ الْأُخْرَى قَلِيلًا. وَلَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ كَانَ الْفَرْقُ كِبِيرًا جِدًّا. فَإِحْدَاهُمَا كَانَتْ بُنْيَةَ الْلَّوْنِ نَسْرُ النَّاظِرِيْنَ، وَالْأُخْرَى – الْأَكْبَرُ حَجْمًا – كَانَتْ بِيَضَاءَ نَسْرُ النَّاظِرِيْنَ أَيْضًا. فِي الْوَاقِعِ، ظَنَّ بِلَاكِي أَنَّهَا أَجْمَلُ الْبَيْضَتَيْنِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ نَاعِمَةً وَلَامِعَةً لِلْغَایيَةِ. فَلَهَا السَّبِيلُ – وَكَذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ أَكْبَرُ الْبَيْضَتَيْنِ – اخْتَارَ بِلَاكِي الْبَيْضَاءَ، فَقَبَضَ عَلَيْهَا بَيْنَ مَحَالِبِهِ وَبَدَا يَطْيِيرُ بِهَا، وَلَكِنَّهُ لِسَبِيلِهِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُحَكِّمَ مَحَالِبَهُ عَلَيْهَا، فَرَفَرَفَ بِجَنَاحَيْهِ حَتَّى هَبَطَ عَلَى الْأَرْضِ مَا إِنْ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ، وَهُنَاكَ أَحَقُّمُ عَلَيْهَا مَحَالِبَهُ. وَإِذَا انْقَضَ عَلَيْهِ الدِّيكُ الرُّومِيُّ الْعَجُوزُ دَانِي كُوكُ – خَافِضًا رَأْسَهُ وَنَافِشًا رِيشَ رَقَبَتِهِ كُلَّهُ فِي غَصَبٍ – ارْتَفَعَ بِلَاكِي فِي الْهَوَاءِ وَحَلَقَ فَوْقَ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ مُتَجَهًا نَحْوَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ.

لَمْ يَكُنْ بِلَاكِي قَدْ شَعَرَ مِنْ قَبْلٍ بِمِثْلِ تِلْكَ الرَّغْبَةِ الْعَارِمَةِ فِي الصَّيَاحِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ؛ فَقَدْ شَعَرَ بِشَدَّةِ ذَكَائِهِ، وَأَشْكَعَ أَنَّهَا كَانَ يَشْعُرُ أَيْضًا بِشَجَاعَتِهِ الْبَالِغَةِ. لَكِمْ أَحَبَّ أَنْ يَتَفَاخِرَ قَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعُلْ، فَبِكُلِّ حِكْمَةٍ أَمْسَكَ لِسَانَهُ، فَسَيُتَاحُ لَهُ الْوَقْتُ الْكَافِي لِلتَّفَاخِرِ بَعْدَ أَنْ يَصِلَ لِمَكَانِ آمِنٍ وَيَأْكُلَ الْبَيْضَةَ.

كَانَ فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ فَوْقَ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ عِنْدَمَا شَعَرَ بِأَنَّ الْبَيْضَةَ بَدَأَتْ فِي الْإِنْزَالِقِ. وَفِي أَحْسَنِ الظُّرُوفِ لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ حَمْلُ بَيْضَةٍ دُونَ أَنْ تَنْكِبَر. فَكَمَا تَعْلَمُونَ، عَلَيْكُمْ تَوَحِّي أَشَدُ الْحَدَرِ، وَتَخْيِلُوا شُعُورَ بِلَاكِي عِنْدَمَا بَدَأَتِ الْبَيْضَةُ فِي الْإِنْزَالِقِ. وَبِقَدْرِ مَا حَاوَلَ، لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقْبِضَ عَلَيْهَا جَيْدًا، فَانْزَلَقَتْ أَكْثَرَ قَلِيلًا. تَوَجَّهَ بِلَاكِي نَحْوَ الْأَرْضِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ سَرِيعًا بِمَا يَكْفِي. رَأَى السِّنْجَابُ الْمُحَاطُ – الَّذِي وَقَفَ يُرَاقبُ بِلَاكِي مِنْ عَلَى الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ – شَيْئًا أَبِيَضَ يَقْعُ مِنْ بَيْنَ مَحَالِبِ بِلَاكِي. وَرَأَى بِلَاكِي يَنْدِفعُ وَرَاءَهُ مُحَاوِلًا إِلْمَسَاكَ بِهِ دُونَ جَدْوَى. ثُمَّ ارْتَطَمَ الشَّيءُ الْأَبِيَضُ بِفُرْعٍ مِنْ شَجَرَةِ تُفَاحٍ قَدِيمَةٍ، وَارْتَدَ عَنْهُ ثُمَّ سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ، وَتَبَعَهُ بِلَاكِي.

تَسَلَّلَ السُّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ بِهُدُوِّ بَالِغٌ عَبْرَ الْحَشَائِشِ لِيرَى مَا يَفْعَلُهُ بِلَاكِي. كَانَ
بِلَاكِي يَقْفُزُ بِجَوَارِ شَيْءٍ أَبْيَضَ يُشْبِهُ الْبَيْضَةَ كَثِيرًا. كَانَ يَنْتَظِرُ إِلَيْهِ وَقِدْ ارْتَسَمَ عَلَى وَجْهِهِ
تَعْبِيرٌ عَجِيبٌ.

مِنْ حِينِ لَاخَرَ كَانَ يَمْدُدُ رَأْسَهُ وَيَطْرُقُهُ بِمِنْقَارِهِ، ثُمَّ يَبْدُو كَمَا لَوْ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ مَا
يَفْعَلُ بِهِ. وَهُوَ فَعَلًا لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ. لَمْ يَكُنْ سُلُوكُ الْبَيْضَةِ كَمَا يَنْبَغِي. كَانَ يَنْبَغِي
أَنْ تَنْكِسَرَ عِنْدَمَا ارْتَطَمَتْ بِقَرْعِ شَجَرَةِ التُّفَاحِ، وَبِالْتَّأْكِيدِ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَنْكِسَرَ عِنْدَمَا
ضَرَبَهَا بِمِنْقَارِهِ هَكَذًا. فَكَيْفَ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ تِلْكَ الْبَيْضَةَ، لَوْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَى كَسْرِ قُشْرِهَا؟
لَمْ يَكُنْ بِلَاكِي يَعْرِفُ.

الفصل الثاني والثلاثون

مَاذَا فَعَلَ بِلَاكِي بِالْبَيْضَةِ الْمُسْرُوفَةِ؟

كَانَ بِلَاكِي مُحْتَارًا؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَا يَجِدُ فِعْلُهُ بِالْبَيْضَةِ الَّتِي سَرَقَهَا مِنْ حَظِيرَةِ دَجَاجِ الْمُزَارِعِ بِراون. لَمْ تَكُنْ تُشْبِهُ أَيَّةً بَيْضَةً رَاهِمًا أَوْ حَتَّى سَمِعَ بِهَا مِنْ قَبْلُ. كَانَتْ بَيْضَةً حُلْوةَ الْمَطْهُورِ، وَكَانَ مُتَأْكِدًا مِنْ أَنَّ طَعْمَهَا سَيُكُونُ حُلْوًا كَمَطْهُورِهَا. وَحَتَّى تِلْكَ الْلَّحْظَةِ كَانَ مُتَأْكِدًا مِنْ أَنَّهُ إِذَا اسْتَطَاعَ تَذَوُقَهَا، فَسَيُحِدُّ فِيهَا كُلَّ مَا يَتَمَنَّاهُ. لَكِنْ كَيْفَ سَيُسْتَطِيعُ تَذَوُقَهَا بَيْنَمَا لَا يَسْتَطِيعُ كُسْرُ قِسْرَتَهَا؟ إِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ قَبْلُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْقِسْرَةِ. وَشَكَّ فِي أَنْ يَكُونَ أَحَدُ آخَرُ قَدْ سَمِعَ بِمِثْلِهَا. لَقَدْ دَقَّ عَلَيْهَا بِقُوَّةٍ بِمِنْقَارِهِ الْقَوَّيِّ حَتَّى خَشِيَ أَنْ يَنْكِسِرَ مِنْقَارُهُ بَدَلًا مِنَ الْبَيْضَةِ. وَكَلَّما زَادَتْ مُحاوَلَاتُهُ الْفَاسِلَةُ فِي كُسْرِهَا، زَادَ جُوعُهُ، وَزَادَ تَأْكُدُهُ مِنْ أَنَّهُ لَا شَيْءَ آخَرَ فِي هَذَا الْعَالَمِ سَيُكُونُ أَذْلَّ مِنْهَا.

لَكِنَّ الْبُسْتَانَ الْقَدِيمَ لَمْ يَكُنْ مَكَانًا مُنَاسِبًا لِمُحاوَلَةِ كُسْرِ هَذِهِ الْبَيْضَةِ؛ فَأَوْلًا: كَانَ الْمَكَانُ قَرِيبًا مِنْ مَنْزِلِ الْمُزَارِعِ بِراون أَكْثَرَ مِنَ الْلَّازِمِ، وَهُوَ مَا لَمْ يَرْتَحِ لَهُ بِلَاكِي؛ فَقَدْ كَانَ يَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ تَأْنِيبِ الضَّمِيرِ. لَمْ يَكُنْ يَشْعُرُ مُطْلَقًا بِأَنَّهُ فَعَلَ أَمْرًا خَاطِئًا؛ فَقَدْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ ذَكِيًّا بِمَا يَكُنْ فِي الْحُصُولِ عَلَى تِلْكَ الْبَيْضَةِ، فَلَهُ حُقُّ فِيهَا مَثْلُهُ مَثْلُ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ، لَا سِيمَاءَ أَبْنَ الْمُزَارِعِ بِراون. لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُتَأْكِدًا عَلَى الإِطْلَاقِ مِنْ أَنَّ أَبَنَ الْمُزَارِعِ بِراون سَيُشَارِكُهُ الرَّأْيِ. فِي الْوَاقِعِ، كَانَ يَشْعُرُ أَنَّ أَبَنَ الْمُزَارِعِ بِراون سَيَعْتَرُهُ لِصَّا إِذَا وَجَدَ تِلْكَ الْبَيْضَةَ مَعَهُ. وَإِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ، كَانَ ثَمَّةَ الْكَثِيرُ مِنَ الْعُيُونِ التَّافِقةِ فِي الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ. فَكَانَ يَرْغَبُ فِي الذَّهَابِ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ يُمْكِنُهُ التَّأْكُدُ مِنْ أَنَّهُ بِمُفْرِدِهِ فِيهِ. وَحِينَهَا إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَكْسِرَ هَذِهِ الْقِسْرَةَ، فَلَنْ يَعْلَمْ أَحَدٌ؛ لِذَا التَّقَطُّ الْبَيْضَةَ وَطَارَ

نحو الغابة الخضراء مُباشرةً، وهذه المرأة استطاع أن يصل إلى هناك دون أن تقع منه البيضة.

لم تكن لتشك قط في أن يكون الغراب بلاكي - بذكائه الحاد ودهائه - ممن تستهويهم الأشياء البراقة، أليس كذلك؟ ولكن تلك هي الحقيقة. في الواقع، يُشبّه بلاكي الطفل الصغير في هذا الأمر؛ فأي شيء براق ولامع يتبرأ اهتمام بلاكي على الفور. وإذا وجد شيئاً من هذا النوع، يأخذ إلى مكان سريٍ مُعين، وهناك يظل يتأمله ويُلعب به ثم يحبه في النهاية. كنت سأظن بلاكي يُشّبه بعض الأولاد الصغار الذين أعرفهم، لو لم أكن أعلم أن ذلك غير صحيح؛ إذ إنه لا يمكن أن يكون صحيحاً. فدائماً ما تكون جيوب هؤلاء الأولاد مليئة بمحتف الأشياء عديمة الفائدة التي التقطوها من مكان أو آخر. وبلاكي لا يملك جيوبًا؛ لذا يحافظ بالكوز من هذا النوع في مخبأ سري، هو مخزن كوز نوعاً ما. فيرورود كل يوم، ويخرج كوزه، ويتفاخر بها ويُلعب بها، ثم يُخفِّيه بعناية مرة أخرى.

في البداية، أخذ بلاكي هذه البيضة بالقرب من منزله، وحاول مراها وتكراراً أن يكسر قشرتها. لكن القشرة لم تنكسر، حتى عندما فقد بلاكي أعصابه وطرقها بكل ما يملك من قوّة. ثم تخلَّ عن هذا الأمر وطار إلى مكانه المفضل على قمة شجرة الصنوبر العالمية تاركاً البيضة على الأرض. ولكنَّه كان يرى تلك البيضة المستقرة من موضعه المفضل على شجرة الصنوبر العالمية، فكانت بقعة صغيرة من البياض اللامع. وعندما وجدتها أشعَّة الشمس الصغيرة المرحضة واستقرت عليها، كانت لامعة وبراقة للغاية، حتى إن بلاكي لم يستطع أن يبعد عينيه عنها.

وشيئاً فشيئاً، بدأ يُنسى أنها بيضة، أو إنَّه على الأقلَّ بيبي أنه كان يرغيُّ في تناولها. وببدأ يجد متعة في مجرد النظر إليها. ربما لم تُشبع معدته، ولكنها بالتأكيد أشبعَت عينيه. نسي أن يُفكَّر فيها باعتبارها طعاماً، وببدأ يُفكَّر فيها على أنها شيء جدير بالتأمل والإعجاب. وسره أنه لم يستطع كسر قشرتها.

بَسَطَ جَنَاحِيهِ الْأَسْوَدَيْنِ مَرَّةً أُخْرَى وَنَزَلَ إِلَى الْبَيْضَةِ، ثُمَّ أَمَالَ رَأْسَهُ جَانِبًا وَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ أَمَالَ رَأْسَهُ لِلْجَانِبِ الْأَكْرَى وَنَظَرَ إِلَيْهَا أَيْضًا، ثُمَّ طَافَ حَوْلَهَا ضَاحِكًا وَقَالَ لِنَفْسِهِ: «جَمِيلَةٌ جَمِيلَةٌ جَمِيلَةٌ! وَهِيَ مِلْكِي أَنَا وَحْدِي! جَمِيلَةٌ، جَمِيلَةٌ، وَمِلْكِي وَحْدِي!» ثُمَّ نَظَرَ بِلَاكِي حَوْلَهُ بِمُكْرِرٍ لِلتَّأْكُدِ مِنْ أَنَّ أَحَدًا لَا يُرَاقِيهُ. وَبَعْدَ أَنْ تَأْكُدَ، دَحْرَجَ الْبَيْضَةَ وَرَاحَ يُقْلِبُهَا وَيَتَأَمَّلُهَا بِقَدْرِ مَا أَرَادَ. وَفِي النَّهَايَةِ، النَّقَطَهَا وَحَمَلَهَا إِلَى مَخْبِأِ الْكُنُوزِ وَخَبَّاهَا هُنَاكَ بِعِنَايَةٍ بِالْمُغَافِلَةِ، وَهُنَاكَ لَا تَزَالُ هَذِهِ الْبَيْضَةُ الْخَرَفِيَّةُ — فَهَذَا هُوَ مَا سَرَقَهُ بِلَاكِي — أَهَمَّ كُنْزٍ لَدَى بِلَاكِي حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا، وَلَا يَزَالُ بِلَاكِي يَسْأَلُ أَحْيَانًا عَنِ الدَّجَاجَةِ الَّتِي بَاضَتْ مِثْلُ هَذِهِ الْبَيْضَةِ صُلْبَةِ الْقِشْرَةِ.

